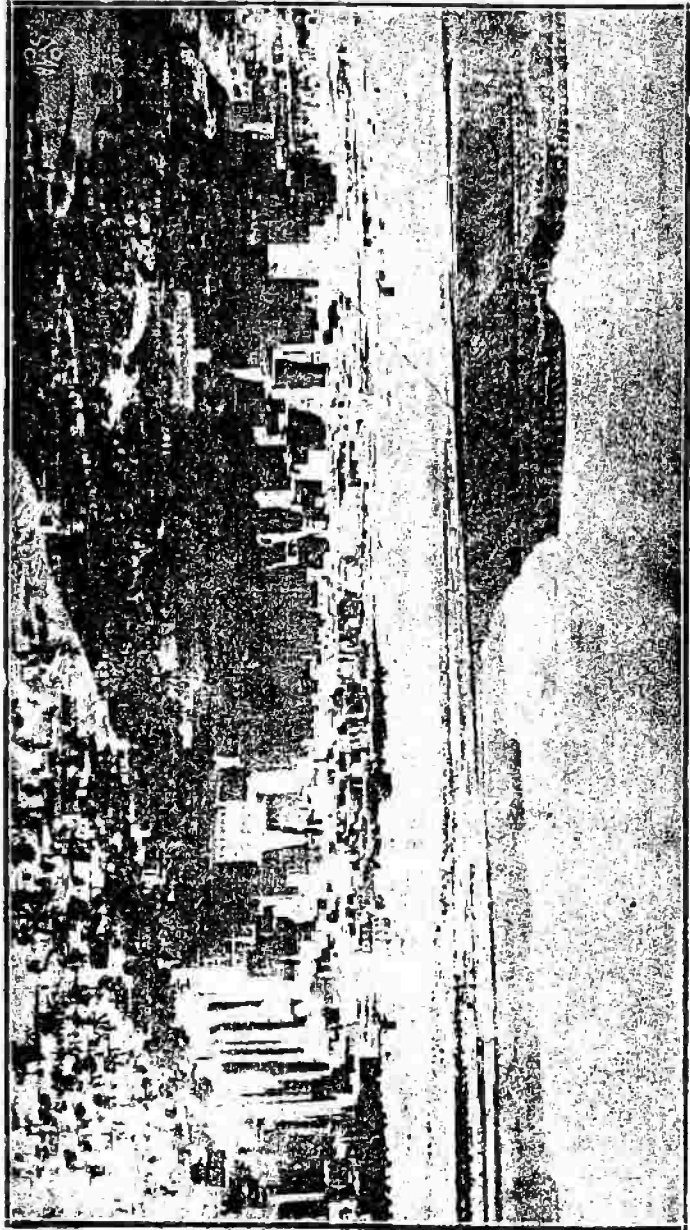


ناطحات السحاب في حضرموت

منظر مدينة عريية ، بها أبنية من الطين
تتكون من سبع طبقات



تذكرنا هذه الصورة بناطحات السحاب في الدنيا الجديدة ، وقد أخذت بالطيارة فوق القلعة حضرموت ، وهو واد قفل يبلغ طوله حوالي ٢٠ ميلا ، وعرضه حوالي ٦ أميال ويسير موزنا بالساحل الجنوبي لبلاد العرب ، ويحيط بهذه المدينة من الجهات الأربع أسوار عالية ، وإذا أنشأنا إلى ثروتها ، فكيف أن تقول إن والد السلطان الحالي لما ترك لمئاته العديدة ثروة قدرها ٢ مليون روبية

الجزء الأول
السنة الأولى

المعرفة

أول مايو سنة ١٩٣١
ذو الحجة سنة ١٣٤٩

مجلة شهرية جامعية

لصاحبها ومحررها

عبد العزيز الأسيدي

شعارها : إعرف نفسك بنفسك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المحرر

باسمك اللهم نفتح باب « المعرفة » ونصلي ونسلم على نبيك القائل « من عرف نفسه فقد عرف ربه »

وبعد فهذا هي (المعرفة) تطالع قراءها ، بأول جزء من أجزائها ، راجية أن يجدوا فيه ، ما يدفع إلى نفوسهم فكرة مما أردنا لها القيام بتحقيقه . مما لا بد أن تتلوه عليهم يسانا طويلا ، أو نرسمه لهم منهاجا عريضا . لنسرد في الأول ما يحول بخاطرنا من رغبات وأمان ، أو نرسم في الثاني ما تترقق به جوانحنا من نزعات وآمال . فلا تكون إلا قولا مسطورا ، أو تصبح عهدا مقروءا ، يهب مع الريح أينما تهب

ولطالما قرأنا كثرة من العهود لا تحصى ، وسمعنا عددا من الوعود لا يحصر .
تقدم بها كتابنا إلى قرائهم ، في صدر العدد الأول لصحفهم . وما نلبث قليلا ،
حتى نراهم وقد داروا دوران عجلة القاطرة . وتبخرت وعودهم تبخر الماء تأثر
بالحرارة ، وراحت عهودهم في خبر كان .

لهذا لا نود أن نحمل أنفسنا عهدا ، أو نقيد صحيفتنا وعدا . وإنما نود
أن يرى القراء بأنفسهم مجهودنا . ويتحققوا باختبارهم منهجنا . إلا أننا نرى
— خشية اتهامنا بالمبالغة — أن نذكر لقرائنا ، طرفا من أهم أغراضنا

وإذن فلنقرر بأن من أهم أغراضنا : ربط البلاد الشرقية ببعض
أولا ، ومن ثم ربط الشرق بالغرب ثانيا ، وذلك بالعمل على نشر معارف الأول
في الثاني . فما يزال الشرق مبعث الحكمة والنور ، ومهبط الوحي والألهام ، وأب
العلم والمعرفة ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر
كذلك نعمل على استخلاص النافع لنا من علوم الغرب ، واستصفاه
ما يصلح لنا من مدينته ، لنقوم بها بنيان مدينتنا . فالحق أننا لا نستطيع انكار ما للغرب
من مدنية وعلم وحضارة .

وإذن فستكون (المعرفة) بابا للمعارف العامة . وهي تود لو يحقق لها الزمن
أن تكون مركزا لنشر المذاهب الصوفية السامية ، وبعث الفلسفة الإسلامية
العالية ، وإحياء الحكمة الشرقية القديمة ، وبناء الأدب العربي وتجديده ، وإذاعة
الفن السامي وتنقيته . وأن تكون معولا هداما ، لبناء المذاهب المادية الألحادية
ومبضعا دقيقا لبتز القاسد من مذهبي الثيوسوفية واستحضار الأرواح وغيرها
من المذاهب المنتشرة في أوروبا وأمريكا . ومصلحا مقوما لغلطات بعض
المستشرقين ، الذين وقعوا في أخطاء عليية ، وتخيّلوا فروضا هيمية . فيما كتبوه

عن الشرق وعلومه . ولسنا بهذا منكرين لهم فضلا ، أوجاحدين لهم نعمة . وإنما الحق يقال . فليس الدخيل كالأصيل . ورب الدار أدرى بما فيها .

* *

وسيلنا إلى القيام بهذا الذي أخذناه على عاتقنا . هو أن نأق بمآقره هؤلاء . وأولئك من قضايا وأوضاع ، تولاهما بالبحث والتحيص ، والنقد والتحليل فما كان منها سليم المادة صحيحها أخذناه . وما لم يكن متفقا والحق ، نقضناه نقضا عليا ، خاليا من التعصب لرأى ، أو مشوبا بتحامل ما . ليتبين الحق من الباطل ، ويتضح الصبح لذى عينين .

ولن تمنعنا خدمة المبادئ الصرفية والفلسفية ، عنايتنا بالموضوعات التي تشوق بعض القراء عامة ، والشباب منهم خاصة . بشرط تحقق الفائدة الأدبية منها . ولتكون عاملا من عوامل اجتذابهم إلينا . فإن الحكمة — والحق يقال — كأس مريرة المذاق ، طعمها كالعلقم ، لا يستطاب بغير السكر . ونحن هنا مضطرون — في سبيل بث أفكارنا . وفي سبيل مهنتنا — لأن نتخذ من ميل كل قارى لبنة ، يقوم عليها بنياننا ، وتحقيقها أغراضنا .

وإذن فلا غضاضة علينا إذا مامرجنا الجد بالفكاهة أحيانا ، فقديما كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقا ، وكذلك روى عن عمر ابن الخطاب ، أنه كان يترنم بقول القائل :

ولله منى جانب لا أضيعه . والله منى والخلاعة مذهب

وما أحسن قول أستاذى ، الدكتور منصور فهمى ، وقد سأله في هذا فقال . أسلك كل السبل المشروعة لنشر صحيفتك . فلك حيل شريفة ، تتخذ لبث المعارف الحقيقية في النفوس . مادام الذين يعنون بدراسة الحقائق ، قليلين جدا . وقد كان هذا نفسه رأى العلامة الجليل الأستاذ فريدبك وجدى ، الذي خبر الصحافة والكتابة ظهرا وبطنا

كذلك نصحنى الأستاذ الجليل مصطفى بك عبد الرازق . بألا أقيد صحيفتى برأى دون رأى ، وأوقف الكتابة فيها على زيد دون عمرو . بل أجعلها معرضا لكل رأى ، وبجالا تتبارى فيه أقلام الكتاب . فالعلم أو المعرفة ليس وقفا على شخص معين

وهذا حق يأسادة . فالمعرفة فى التحقيق ، كلمة تجمع الآثار ، أو المتوجات العقلية وغيرها . فالعلم والدين والفلسفة ، بل والآداب والفن ، كلها صور وآثار ، تجمعها كلمة المعرفة



وأود أن أبرى نفسى ، من تهمة الادعاء بتمثيل هذا الجزء لنا . أو بكل مايجول بخواطرننا . فما نزال فى الخطوة الأولى من خطوات السفر . وعند مفترق الطرق من المرحلة . وما أصيب البدايات يا صاح !!

لستكن إذن هذه البداءة . بشيرا لنا فى المستقبل ومرشدا ، نستجلى بها حقائق أميال القراء ورغباتهم . ونستوحى منها وحى المفكرين وسديد خواطيرهم . حتى نصبح أقرب إلى اليقين ، وأيسر إلى التحقيق إذا ما استطعنا التوفيق فيما ندعيه



هذه سبيلنا فى العمل . رسمناها للقراء على الرغم منا ، وللسنا نطلب إليهم أكثر من تشجيعنا إذا كان حقا ما نقرره . أو إصلاح خططنا بتقويمه وتصحيحه وليس علينا فى هذا من عيب مطلقا ، وإنما العيب على من يرى الخطأ فلا يرده وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الساكت عن الحق شيطان أخرس ، والله أسأل أن يجعلنى ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن يحقق (للمعرفة) شهادة الأستاذ السيد محمد التفازانى ، فتكون « مرجعا لذوى الفضل وأهل العلم فى الحركة العلمية والإسلامية » كما كتبه للعلامة أحمد زكى باشا والسلام ؟
عبد العزيز مصطفى الإسلامبولى

الأخلاق وفلسفة الجبر

للدكتور منصور بك فهمي

أستاذ الفلسفة بالجامعة المصرية



(أحدث صورة للدكتور . خاصة بمجلة المعرفة)

الدكتور منصور فهمي : فيلسوف بطبيعته قيل أن يعرفه الناس فيلسوفا بصناعاته . وماذا
تطالب من الفيلسوف أكثر من أن يكون كما قال أفلاطون : ذا رغبة وقادة في معرفة كل
الموجودات الحقيقية . يبتغي الكذب ، ويحب الصدق . يحترق الذات الجسدية ، ولا يكثر
للهال . سامي الدارك . حر الفكر . عادل دمت . سريع الخاطر . ذا فطرة وقادة .
والحق أن انسانا — بالذات مابغ من حب النقد — لا يستطيع بحال ما . انكار توافر هذه
الصفات في أستاذنا الجليل . وفعله على الامة متمثلة في شبابه — الذين أضجروا بفعله فخر الشباب
المتقف . وزينة الجامعات العلمية — لا ينكر
وأستذنا يمتاز على غيره . بأنه رجل لا يصدر الا من ذات نفسه . فهو يقول ما يعتقد تماما
ويصرح بما يقصد في غير ماموارية أو تمليق
تشرفت بزيارته . راجيا تزيين (المعرفة) ببحت من بحوثه القيمة . فتفضل على وأملاني هنا
البحت القيم الذي كنت وأنا أستمع اليه كأنما أستمع الى الوحي ينزل عليه .

المرور

طالما يسند علماء الغرب ومفكروه فلسفة الجبر ، إلى السواد الأعظم من الشرقيين ، وبالأخص المسلمين منهم .
والمقصود بفلسفة الجبر . هو هذا المذهب القائل : بعجز الإرادة والعقل عن تشييد شؤون حياة الانسان . وبعبارة أخرى نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته الى الرب

يلوح المسلم إذن لنظر بعض أهل الغرب ، في صورة من يرى أعماله مقدرة عليه بإرادة غير إرادته . ولعل هذه الصورة التي يلوح عليها المسلم في نظر غيره . قد تكونت مما كتبه عدد كبير من أدباء الغربيين في كتبهم وقصصهم ، التي صوروا بها أهل الشرق . فيظهرون في تلك القصص أبطالها ، صابرين على الأذى باسمين لأحداث الدهر ؛ تتردد على ألسنتهم كلمات يتعززون بها كمرادفات : « القسمة » و « الحظ » و « البخت » و « النصيب » و « المقدور » و « القضاء » وربما يكون كذلك من العناصر المكونة لصورة الشرق - على نحو ما يراه الغربي - تلك المناقشات وضروب الجدل ، التي كانت في العصور الخوالد ، إذ كانت الفلسفة الإسلامية في شبائها . وكانت أصداء تلك المناقشات والمجادلات تتردد بين مذاهب أهل الجبر وخصومهم في زمن دولتي بني أمية وبني العباس لكن مسائل الجبر والقدر ، ليست من المسائل التي تفرّد بها الشرقيون ، بل هي من أمهات المسائل التي تشغل أذهان البشر ، مدعرف البشر لنفسه تاريخاً . وذلك لأنها من المسائل الفلسفية العويصة ، التي من طبيعة الأذهن البشري ، أن يتشوف إليها . وقد تناولها بالبحث : كمسألة علة الوجود ، ومسألة الروح والجلاود ، ومسألة الحسن والقبح وغير ذلك مما يشغل الإنسان . إذ يتعمق في النظر الى الأمور ولقد كان في فلسفة اليونانيين الرواقين ، ما يؤدى إلى معاني الجبرية . وكذلك في فلسفة النصرانية . على أن الإسلام قد اشتهر بهذه الفلسفة على وجه أخص والجدير بالبحث والتحصيل ، عند تناول موضوع الجبر في الأفعال . هو أن نميز بين الحياة النظرية الخالصة ، والحياة العملية الخالصة . أو بعبارة أخرى : أن نميز بين حاجات الفكر المحض وحقه من التحليق في سماء النظريات المطلقة ،

والتأملات المجردة . وبين حاجات الحياة العملية ، وحققها من نجاز العمل وتحقيقه وليس من شك في أن للفكر النظري الخالص ، أساليبه ولذاته من التناول إلى العلل البعيدة ، والمراجع الأولى للأمور ، وذلك لأن العقول . تتوثر بطبيعتها لتتغلغل في أصول الأشياء مادامت الموانع لذلك التغلغل مرتفعة . وليس من شك كذلك في أن الحياة العملية ، تقتضى إسراعا وبنا وقطعا ، وذلك لأن كل عمل ، أوفعل ، إنما هو بطبيعته تحقيق وظهور للقوى التى تنتهى إلى العمل حين تتعدى حالها الى حالة . ومن كمال تحقيق الفعل الأسراع .

وإذا كان الامر كذلك ، فإن حاجات الحياة العملية . تغاير حاجات الحياة الفكرية فبينما نجد هذه الأخيرة تشير بالفكر الى أبعد الأصول والعلل والغايات والمقاصد نرى أن الحياة العملية طالما تقضى بغض النظر عما لا يتصل بالعمل اتصالا مباشرا . وبينما نجد حاجات الحياة الفكرية الخالصة ، قد تخرج إلى ضروب من الحيرة والتردد ، نجد أن الحياة العملية ، تقضى بأساليب من القطع والجزم . ولعل ديكارت حين أراد أن يتخير لنفسه مذهبا يسير عليه في السلوك ، رأى أن أسلم السبل ؛ يكون في الخضوع لمطالب العرف ؛ وذلك لأن أمر السلوك ومعاملة الناس ، من الأمور العملية الناجزة التى لا تترك مجالا لكثرة التفكير ووفرة النظر .



الإنسان في أفعاله وسلوكه ، يخضع لناموس الكون من حيث اتصال العلة بالمعلول . لكن من خصائص الإرادة أو الإنسان المريد ، أن يقصر المدى . ويضيق المجال عندما ينظر إلى سلسلة العلل الممتدة البعيدة التى تتصل بعمل من أعماله ، وإن في هذا التقصير والتضييق ، تحديدا اعتباريا ، وقطعا تحكما ، من الإنسان في هذه السلسلة الطويلة ، التى لا تنتهى إلا عند السكون والركون إلى العلة الأولى . وعند هذا القطع التحكى ، الذى لا تلوح معه للناظر إلا العلل القريبة ؛ قد يخيل للإنسان المريد الموجه لأعماله أنه فاعل لها . وذلك لدخله واندساسه

في حلقات تلك السلسلة المتواصلة ، بحيث لا يرى منها إلا ما يريد أن يراه معلقاً بالآرادة
و بحيث يحجب عن النظر ما لا يريد أن يراه من حلقات هذه السلسلة المترابطة ،
و بحيث يفرض لنفسه القدرة على التدخل في الأمور أو الانقباض عنها .
وعلى هذا ؛ ففي مقام الفكر والنظر الخالص ؛ لا يبدو للعقل المجرد ؛ إلا فلسفة
الجبر والترابط ؛ وفي مقام العمل والحياة العملية ؛ ليس يبدو للفكر إلا فلسفة الاختيار .
وإذا كان من نصيب أكثر الشرقيين ، أن يصح في حقهم ما يصورهم به
الغربيون كأنصار لمذهب الجبر ، يدينون به ؛ ويؤمنون بفلسفته ، فربما يكون
من الأسباب التي تحمل على تصور ذلك - دون تعمق ومن غير تحفظ ، بين أسلوب
الحياة العقلية والعملية - أن الشرقيين مرت عليهم ؛ أحقاب من الزمن ، وهم في
ظل الحضارة الطبيعية ، وأقصد بالحضارة الطبيعية ، ذلك الأسلوب من العيش ،
الذي هو أدنى إلى مسيطرة الطبيعة في قوانينها ونواميسها ، من غير كبير تدخل من
العقل والآرادة في أمر هذه النواميس والقوانين . ففي حياة الطبيعة والفطرة
ينمو النبات ويؤتي ثمره ، وفق نظام نوعه ، في أوان معين . وفي الطبيعة والفطرة
تقطع المسافات البعيدة أو القريبة ، وفق نظام الإنسان في تركيبه الجسمي ، أو
وفق نظام الحيوان في طاقته ، أو وفق سير الهواء في قوته ، أو وفق مجال الأنهار
والتيارات في اندفاعها . وإن حياة الطبيعة الساذجة ، أو الفطرة الأولى التي لم
تنبث فيها نظم العمران وحاجاته ، من توزيع الأعمال ، ومظاهر العقل ، ودوافع
الآرادة ؛ قد تجرد هذه الحياة على الإنسان بفترات واسعة مباركة من الزمن ،
قد تستخدمها الجيلة النظرية للعقول الممتازة ، في التطاول إلى العلل البعيدة .
وعلى هذا فإن الحياة الشرقية ، التي كانت أدنى ، أو هي أدنى إلى مميزات الحياة
الفطرية وكانت بذلك أدنى ، إلى الجود بفترات من الزمن والوقت ، لحاجة
الإنسان ، فإنها من غير شك ، كانت تهبط إلى قابلية أوسع لفلسفة الجبر ، وما تجر
إليه من فلسفة التوكل التي ينظر إليها بشيء لا يخلو أحياناً من تهكم وتعجب
لا قيمة لها في نظر التمهيص والتحقيق .

وعلى عكس ما تبدو به صورة الشرق والحضارة الفطرية ، نرى أن المدنية الصناعية التي نشأت في الغرب وفي الزمن الأخير ، تعمل جهد طاقها ، في التسلط والسيطرة والتدخل في سنن الطبيعة . فقد تنبت التبت في غير أوانه المعهود ، وتقرب الأصقاع المتناثية على مالا يعهد الناس ، من أدواتهم ووسائلهم الساذجة وهذه الحضارة الصناعية ؛ قد تستولى من الإنسان على جميع وقته الذي يتوزع بين العمل وحاجات الحياة الاجتماعية على نحو تصبح النفس البشرية فيه ، كأنها آلة من الآلات المتحركة في دأب واستمرار . فلا تجد النفس وسعة من الزمن لتتسامى فيها عن حاجات الحياة اليومية العملية إلى مطالب طبيعتها ، من التأمل المريح ، الذي يظهر للنفس والعقل صورتها الحقة ، وطبيعتها التي قد تتوارى من أثر الحضارة الصناعية ، على ما هي عليه في صورتها الراهنة المرهقة .

والخلاصة أن كل حضارة ، أو كل أسلوب من الحياة ، يفسح مجالاً للعقل النظري الراقى ، فهو مبالغ من غير شك إلى المسائل الفلسفية العالية التي منها فلسفة الجبر وعندى : أنه إذا أتيج للحضارة الصناعية التي هي من مميزات الغرب والزمن الحاضر — أن تنتهى إلى توزيع الأعمال والجهود والثروات والمنتجات توزيعاً عادلاً ، بحيث يجد الإنسان الممتاز فراغاً للتأمل — فإن هذه الحضارة الغربية الصناعية ، تؤدي إلى فلسفة الجبر التي هي من ملازمات بركة الوقت ، أكثر منها مما لو كانت من خصائص صنف من الناس ، أو صنف من العقول .

أما ما قد يقال عن ضعف إرادة بعض الشرقيين ، وقصور همهم ، للمضى في أعمال الحياة ، فذلك له أسبابه الكثيرة التي لا تتعرض لبحثها الآن ، لانا فرقنا بين مباحث الفكر النظري وحاجاته ، وبين الإرادة وحاجاتها في الحياة العملية وإن ما تناولناه من هذا البحث ، يتصل بموضوع الفلسفة النظرية وأساليب التفكير المجرد . وإذا كنا أهملنا بحث الحياة العملية ، في هذا المقال ، فذلك لكي نشير ، من خلال ما تقدم ، إلى أن فلسفة الجبر ، ليست خاصة من خصائص الشرق ، ولا من خصائص الغرب ، ولكنها من آثار العقل المجرد الراقى ، إذ يحول في فسحة من الوقت ويرتاض في بحبوحة من الزمن ؟

رابعة العدوية

بحث تحليلي فلسفي تاريخي

للاستاذ مصطفى بك عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية



(صورة فريدة للأستاذ بالزي الافرنجي لم تنشر قط)

الأستاذ مصطفى بك عبدالرازق ، على رأس طائفة العلماء المتنازين ، الذين جمعوا الى دراسة القديم وروعته ، المأموم بالجديد ونضرتة . وهو واسع الاطلاع لدرجة تذهل محدته . فقل أن يفوته شيء من مؤلفات الشرق أو الغرب ، وبخاصة ما كان متصلا بمناها بالثقافة الإسلامية . وهو لهذا يعد بحق أعرف الناس بها .

وما أظن أني تشرفت بزيارته مرة ما : الا وجدته بين تلال من الكتب ' يعمل فيها بحثا وثقيا ' حتى يظهر منها ببقيته ' فيصبح في أعماق نفسه صيغة أوشميدس الذي قال : لقد وجدتها وهو فوق هذا كله رجل جم الأدب ' كريم الحلق ' يكاد يسيل رقة وعدوية ' ولعل لهذه الطباع الجمدة مقرونة بمقدرته العادية ، أكبر الاثر في إجماع الناس على محبته وإجلاله وقد تفضل علينا بهذا البحث الذي يراه القراء على الصفحة التالية .

المحرر

هي رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية . ولقبها ابن خلكان بأُم الخير . وذكر أنها مولاة آل عتيك . وعتيك - كما مر من الأزدي . والنسبة إليه عتيكي محرّكة . وقال ماسنيون في كتابه أصول الاصطلاحات الصوفية : وإن رابعة عتيقية لآل عتيك - بالتصغير - وهي قبيلة من قيس . ولم نر أحداً ممن ترجموا لها ذكر تاريخ ميلادها . ثم إنهم اختلفوا في تاريخ وفاتها . فمن قائل إنها توفيت سنة خمس وثلاثين ومائة . ومن قائل توفيت سنة خمس وثمانين ومائة .

قال الشعرائي في الطبقات : وكانت بعد أن بلغت الثمانين سنة كأنها شن بال (١) تكاد تسقط إذا مشيت . وكان كفنها لم يزل موضوعاً أمامها ، وكان بموضع سجودها . وهذا يدل على أنها عاشت أكثر من ثمانين عاماً . وذكر « ماسنيون » في كتابه المشار إليه آنفاً . أن رابعة قضت حياتها بالبصرة كأنها مسجونة ، وبها ماتت في سن لا تقل عن ثمانين سنة ، وذلك في عام ١٨٥ هـ ٨٠١ م . ولم تكن وفاتها سنة ١٣٥ هـ ٧٥٢ م كما زعموه ليجعلوا منها تليذة للحسن البصري . وأدلة ذلك صداقتها لرباع ، وكونها لقيت الثوري الذي جاء البصرة بعد سنة ١٥٥ . ومن الأدلة : مارو وامن خطبة محمد بن سليمان الذي ولي البصرة من قبل العباسيين منذ سنة ١٤٥ هـ إلى سنة ١٧٢ هـ لها

وذكر ابن خلكان أن قبرها يزار ، وهو بظاهر القدس من شرقيه . على رأس جبل يقال له الطور

لكن ياقوت الحموي ذكر أن هذا القبر ليس قبر رابعة العدوية . إنما قبرها بالبصرة ، أما القبر الذي على جبل القدس فهو قبر رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري الكاتب ، وقد اشتبه على الناس . قال الغزالي في الأحياء : ورابعة هذه تشبه في أهل الشام رابعة العدوية بالبصرة

لسنا نعرف شيئاً عن نشأة رابعة وحياتها من قبل أن تكون صوفية . فاتها لم تولد صوفية بالضرورة . ولم يعن المؤرخون إلا بالجانب الصوفي منها ، وجاء في دائرة المعارف للبستاني مانصه : (وفي بعض الروايات أنها تابت عن يد ذى النون المصرى . وذلك أنها كانت فى سفينة مع جماعة يشربون الخمر ، فاتفق ركوب ذى النون تلك السفينة لغرضه فى بحر النيل . فطلبت إليه رابعة على سبيل التهم أن يسمعهم شيئاً من غناؤه كما أسمعوه . فأشد :

أحسن من قينة ومزمار فى غسق الليل نغمة القارى
يا حسنه والجليل يسمعه بطيب صوت ودمعه جارى
وخده فى التراب منعفر وقلبه فى محبة البارى
يقول ياسيدى وياسندى أشغلى عنك ثقل أوزارى

وكانت بذلك توبة رابعة على يده)

وعقب على ذلك صاحب دائرة المعارف بقوله : (ولكن يظهر أن هذه القصة مصنوعة لبعده العهد بين ذى النون و رابعة كما يعرف من تاريخ وفاتها) وشواهد الوضع فى هذه القصة كثيرة . فأنا لانعرف أن رابعة العدوية زارت مصر . وإن ابتدعت لها الأساطير قبراً بقراءة الإمام يزار ويتبرك به . والشعر الذى فى الرواية فيه من الغثاثة ومن اللحن ما يقطع الصلة بينه وبين عصر رابعة العدوية . ويظهر أوضح ظهور أنه من شعر العصور المتأخرة

هذا . وقد ذكر ماسنيون فى مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ التصوف ببلاد الإسلام : (أن رابعة خطبها أبو عبيدة عبد الواحد بن زيد مع علوشانه فهجرت أياها حتى شفع له إليها إخوانه . فلما دخل عليها قالت له : يا شهوانى . أطلب شهوانية مثلك) وذكر فى كتابه فى اصطلاحات الصوفية أن والى البصرة خطبها . وما أظن أن والى البصرة أو عبد الواحد بن زيد كان يرضى أن يخطب امرأة كانت تشرب الخمر فى السفن النيلية ، وتغنى للندمان . وليس فيما بين أيدينا من المراجع ما يدل على أن رابعة العدوية كانت متزوجة . بل المأخوذ من الروايات عن حياتها

أنها كانت بعبادتها وحبا لله في شغل عن الزوج والولد . وقد ردت مرتين من خطبها . وفي مجموع الأستاذ ماسنيون ، وفي غيره : (نظرت رابعة الى رباح وهو يقبل صيبا من أهله ويضعه إليه . فقالت : أتجبه ؟ قال نعم . قالت : ما كنت أحسب أن في قلبك موصعا فارغا لمحبة غيره تبارك اسمه ، قال فصرخ رباح وسقط مغشيا عليه ، ثم أفاق وهو يمسح العرق من عند وجهه وهو يقول (رحمة منه تعالى بكم ألقاها في قلوب العباد للأطفال)

وليس من شأن زوجه أو والده مهما بلغ بها التصوف أن تنكر الخنوع على الأطفال عاشت رابعة العدوية في القرن الثاني من الهجرة ، وماتت في أخريات هذا القرن ، كما ترجمه أكثر من كتبوا سيرتها

ويقول ابن خلكان عنها : « كانت من أعيان عصرها . وأخبارها في الصلاح مشهورة » ويقول عنها صاحب كتاب « مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان ، الأمام أبو محمد عبد الله بن أسد الياقني المتوفى سنة ٧٦٨ هـ (السيدة الولية ذات المقامات العلية والأحوال الشخصية)

ويقول عنها الأستاذ « ماسنيون » وعن رابعة القيسية ما تعريبه (هاتان الزاهدتان ، وكلتاها من أهل المذهب البصري) كان تحمسهما لحياة الزهد مؤديا إلى معالجة أحوال صوفية مختلفة ، وإلى البحث في فروض دقيقة في العليات والعقائد ، ورابعة تعتبر عند الباحثين في أمور الولاية والأولياء أعظم ولية . وعندى أن من التعسف أن ينسب إلى رابعة العدوية وصاحبها التصدي لمعالجة دقائق المسائل الفقهية والكلامية والصوفية

* *

ولقد كان العصر الثاني الهجري عصر نشأة التصوف ، وعصر بداية تطوره الأول ، إذ نشأ لفظ « الصوفي » عبارة عن العابد الزاهد اللابس للصوف ، ثم صار يدل مع ذلك على العناية بحال القلوب إلى جانب التمسك بالعبادات الظاهرة وتجدد في تاريخ رابعة العدوية ما يدل على حرصها على التحقق بهذه المعاني . فهي

كانت تلبس الصوف . وكانت تسيكث من العبادة ، وكانت من أزهد الناس في الدنيا روى الشعرائي : أنها كانت تردم أعطاء الناس لها وتقول : « مالي حاجة بالدنيا وذكر صاحب مرآة الجنان ، وابن خلكان عن ابن الجوزي في كتابه « صفوة الصفوة » ، بأسناده متصل إلى عبدة بنت أبي شوال - وكانت من خيار أماء الله وكانت تخدم رابعة - قالت : (كانت رابعة تصلي الليل كله . فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر . فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدتها ذلك - وهي فزعة - : يانفس كم تنامين وإلى كم تنامين ؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور ، ولأن هذا دأبها دهرها حتى ماتت ولما حضرتها الوفاة دعنتي وقالت : يا عبدة لا تؤذني بموتى أحدا ، وكفني في جنتي هذه . وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون ، قالت فكفنتها في تلك الجبة وفي خمار صوف كانت تلبسه ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها - في منامي - عليها حلة استبرق ، وخمار من سندس أخضر لم أرقط شيئا أحسن منه . فقلت : يا رابعة ، ما فعلت بالحلة التي كفناك فيها وخمار الصوف ؟ قالت : إنه والله نزع عني ، وأبدلت به ما ترينه على ، فطويت أكفاني وختم عليها ، ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة ، فقلت لها ألهذا كنت تعملين أيام الدنيا ؟ فقالت وما هذا عندما رأيت من كرامة الله تعالى لأوليائه ؟ . قلت فربني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل . قالت عليك بكثرة ذكره ، يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك)

ويدل ما ذكرنا على أنها كانت تلبس الصوف وما إليه من ثياب الشعر ، وأنها كانت كثيرة العبادة منصرفة عن الدنيا

أما اهتمامها بروح العبادة ، وما يحدث في النفس من آثارها ، فدل عليه كثير مما روى من أقوالها . كانت تقول : استغفارنا يحتاج إلى استغفار . وكانت تقول : ما ظهر من أعمال لا أعده شيئا . ومن وصاياها : « أكتموا حسناتكم كاتسكتمون سيناتكم ، ولعل أظهر ما يميز به رابعة العدوية كلامها في الحب . ويقول

« ماسنيون » إنها استعملت كلمة « الحب » في العشق الألهي ، معتمدة على ماورد في القرآن . وكان من قبلها يتخرجون من كلمة الحب في ذلك المقام والمحبة كما في كتاب « مدارج السالكين » هي سمة الطائفة ، وعنوان الطريقة ومعقد النسبة . يعنى سمة هذه الطائفة المسافرين إلى ربهم ، وهم الذين قعدوا على الحقائق ، وقعد من سواهم على الرسوم . وعنوان طريقهم . أى دليلها ، والمحبة تدل على صدق الطالب وأنه من أهل الطريق . ومعقد النسبة . أى النسبة التى بين الرب وبين العبد . فأنه لا نسبة بين الله وبين العبد إلا محض العبودية من العبد والألوهية من الرب ، وليس فى العبد شئ من الألوهية ، ولا فى الرب شئ من العبودية . ومعقد نسبة العبودية هو المحبة ، فالعبودية معقودة بها بحيث متى انحلت المحبة ، انحلت العبودية ، ولا تحدد المحبة بحد أوضح منها ، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء ، فحدها وجودها ، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة . وإنما يتكلم الناس فى أسبابها ، وموجباتها ، وعلاماتها ، وشواهداها ، وثمراتها ، وأحكامها وهذه المادة تدور فى اللغة على خمسة أشياء :

أحدها — الصفاء والياض ، ومنه قولهم لصفاء يياض الأسنان ونضارتها — حب الأسنان

الثانى — العلو والظهور ، ومنه حب الماء وحبابه ، وهو ما يعلوه عند المطر الشديد ، وحب الكأس منه

الثالث — اللزوم والثبات ، ومنه حب البعير وأحب ، إذا برك فلم يقم الرابع — اللب ، ومنه حبة القلب للبه وداخله ، ومنه الحبة لواحدة الحبوب ، إذ هى أصل الشئ ومادته وقوامه

الخامس — الحفظ والأمساك . ومنه حب الماء للوعاء الذى يحفظ فيه ويمسكه ، وفيه معنى الثبوت أيضا . ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة ، فأنها صفاء المودة ، وهيجان إرادات القلب للمحجوب ؛ وعلوها وظهورها منه . لتعلقها بالمحجوب المراد ، وثبوت إرادة القلب للمحجوب ؛ ولزومها لزوما لا يفارقه ،

ولأعطاء الحب محبوبه ليه ، وأشرف ما عنده وهو قلبه ، ولا اجتماع عزماته وإراداته وهمومة على محبوبه . فاجتمعت فيها المعاني الخمسة .

هذا ما يقوله ابن قيم الجوزية في معنى المحبة ومنزلتها من التصوف وعند ما كان التصوف في سداخته لعهد رابعة . لم يكن الحديث في أمر المحبة الصوفية طريقاً معبداً . وقد تكون رابعة العدوية أول من هتف في رياض الصوفية بنغمات الحب شعرا ونثرا . وجدير بمولاة آل عتيك — التي كانت من فضلاء عصرها ، وأزكاهم فطرة ، وأسماهم نفسا ، وأشداهم عزوفا عن الدنيا وزخارفها — أن يكون انقطاعها إلى الله قد وجه نفسها الشاعرة وجهة حب إلهي فغنت بأناشيده في مثل قولها :

أحبك حبين ، حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحد في ذا ، ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا ، وذاكا

روى هذا الشعر الغزالي في الأحياء ، ونقله ماسنيون ، أيضا . والذي في الأحياء : فكشفك لي الحجب حتى أراكا . وفي الأحياء أيضا : قال الثوري لرابعة . ما حقيقة إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا جبالته ، فأكون كالأجير السوء . بل عبدته حباً له وشوقاً إليه

وذكر أبو القاسم القشيري في الرسالة : أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي أتحرق بالنار قلباً يحبك ؟ فهتف بها مرة هاتف : ما كنا نفعل هذا . فلا تظني بنا ظن السوء

وفي « عوارف المعارف » للسهروردي . قالت رابعة : كل مطيع مستأنس ، وأنشدت :

إني جعلتك في القواد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليل مؤانس وحبيب قلبي في القواد أنيسي

وكانت تنشد :

تعصى الآله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع
ومن الظواهر التي تسترعى النظر في حياة رابعة العدوية . ما عرف من دوام
حزنها وبكاها

قال الشعراني : كانت رضى الله عنها كثيرة البكاء والحزن ، وكانت إذا سمعت
ذكر النار غشى عليها زمانا ، وكان موضع سجودها كهنة الماء المستنقع
من دموعها
وروى أنها كانت تقول ، محب الله لا يسكن أبنه وحنينه حتى يسكن
مع محبوبه .

قال المترجمون لها : وقال عندها يوما سفيان الثوري : واحزنناه — فقالت :
لا تكذب . بل قل : واقلة حزناه . لو كنت محزونا لم يتهأ لك أن تتنفس . وقيل
لرباح : هل طالت بك الليالي والآيام ؟ قال بهم ؟ قيل بالشوق إلى لقاء الله ؛
فسكت ؛ قالت رابعة : ، لكنني نعم ،
وليس هذا الحزن العميق في نفس السيدة رابعة ، إلا مظهرها كانت تفيض
به نفسها الشاعرة من الحب العميق

فالسيدة رابعة هي السابقة إلى وضع قواعد الحب والحزن في هيكل التصوف
الأسلامي ، وهي التي تركت في الآثار الباقية نفثات صادقة في التعبير عن محبتها
وعن حزنها ، وإن الذي فاض به بعد ذلك الأدب الصوفي من شعر ونثر في
هذين البابين ، لهو نفحة من نفحات السيدة رابعة العدوية إمام العاشقين والمحزونين
في الإسلام .

مصطفى عبد الرازق

مسألة المعرفة

حيرة الفلاسفة فيها قديما وحديثا
للأستاذ الفيلسوف محمد فريد بك وجدى

أمة نمت في مرد ، أو فرد تجمعت فيه أمة . ذلك هو الرجل الذى صنع نفسه بنفسه كايقول
الانسكايز . والذي أجاد الصنعة كل الأجاد
تقرأ سيرته فتشعر أنك تقاب في سفر جامع حافل بالتليد والطريف . ونحس نفسك أمام
بنيان شامخ ، تخيرت أسسه من لبنات العلم الصحيح ، واتخذت قواعده من قوائم المعرفة الصحيحة
ذلك هو علامتنا الكبير الأستاذ فريد بك وجدى ، صاحب المؤلفات الشهيرة ، والمجلدات
الضخمة ، والموسوعات الدائمة الصيت ، وبحسبك أن تعلم أنه صاحب دائرة معارف القرن
العشرين لتعرف أي معجزة أتى بها العصر ، وتفهم أي فخر أكتبه الشرق
تفضل على (المعرفة) وقراءتها ، بتعريف المعرفة من ناحيتي العلم والفلسفة وآثرنا وضعه في هذا
المكان على مقالنا الذى يراه القراء في مكان آخر .
وبجد القارئ صورته على الصفحة التالية . أما مقالنا فقد ابتداء بقوله : —

المحرد

فكرت في شيء أكتبه لهذه المجلة الناشئة فأثار اسمها في نفسى مسألة المعرفة
في الفلسفة ، وأذكرها تلك المنازعات العنيفة ، والبحوث المستفيضة التى حدثت
حولها قديما وحديثا ، فرأيت أن أجمل القول فيها للقارئ . ولعله أول بحث في
هذه المسألة على صفحات مجلة عربية

كيف يعرف عقلنا الأشياء ؟

هذا سؤال يحسبه الرجل العادى لا يستحق البحث ولا المناقشة ولكنه
لدى الفلاسفة شطر الفلسفة . بل شطرها الأهم الذى تركزت فيه كل جهود الإنسان
منذ تنبه لتحديد علاقاته بالكون والكونيات

من الأمور البديهية أن الأشياء الخارجية والعقل الذى يدركها ، شيان متميزان ،
بل ومن بعض الوجوه شيان متناقضان ، ولكن توجد بينهما علاقة ما ، فما هي
تلك العلاقة ؟

كيف نفهم أن الأشياء ، وبخاصة الأشياء الخارجة عنا ، المخالفة لطبيعة العقل كل الخلاف ، يدركها هذا العقل وتمثل فيه ؟
 أول ما يتبادر إلى الذهن من حلول هذه المسألة . أن يقال إن العقل ترسم عليه صور الأشياء كما ترسم المرئيات على صفحة المرآة ، فيحدث فيه شعور بها وإدراك لها



(صورة العلامة فريد بك وجدى)

هذا حسن . ولكن كيف يمكننا أن نفهم أن تأثيرا يرد على العقل من الخارج ، أو حركة تنطبع منه في المخ تكون نتيجة أن يحدث فيه هذا الشعور المفضى إلى الإدراك ؟
 سواء أفهمنا هذا الأمر أم جهلناه ، فإنه واقع لا محالة ، ولا سبيل إلى نكرانه .
 فلنسلم به وإن كنا لم نصل إلى فهمه ، ولننظر في أمر آخر ، وهو أن هذا الشعور الذى يشيره الشئ الخارجى فى العقل . هل هو صورته الصحيحة فى الواقع ؟
 هذا مثار خلاف شديد بين الفلاسفة . فالذين سبقوا منهم عهد سقراط قالوا إن الحواس الإنسانية تعجز عن ضبط كل ما هو واقع خارجها ، فأنحصله كثيرا ما يكون عرضة للتغير ، وموجبا للانخداع . قالوا لا يعقل أن يكون مانحس به

من لون أو حرارة في الخارج هو بعينه الموجود منه في الواقع لا أكثر ولا أقل .
 فرأى الفلاسفة الأولون من اليونانيين أن يشركوا التفهم فيما يرد على العقل من
 المدركات . ولكن هذا التفهم نفسه عمل عقلي ، والعقل كما قررنا لا يرد عليه
 من الخارج إلا صورة تناسب قواه المحدودة ، فإذا أعمل فيه قوة التفهم فهل يكون
 ما يحصله هو نفس الأمر الواقع ؟

هؤلاء الفلاسفة الأولون لم يقدرُوا قدر هذا الاستشكال ، وأخذوا
 يستخدمون لتحقيق المدركات كل ما يستطيعون استخدامه من وسائل التفهم ،
 فبنوا على ذلك نظرياتهم ومقرراتهم في مختلف العلوم . جرى على هذه السنة
 هيراقليط وامبيدوكل وأناغزاغور وديموكريت ومن نحنا نحوم ، فكانوا
 يفترضون النظريات ويحاولون إثباتها معتبريها معبرة عن الواقع المحسوس غير
 حاسبين حساباً للطبيعة نفسها ، ولقيمة الوسائل التي يتوسلون بها لتقرير حوادثها
 وموجوداتها

فلما نشأ سقراط نه على هذا النقص وقرر أن الفلاسفة الأولين لم يأبهوا
 إلى أن العلم الذي يقيمون صرحه هو من عمل العقل ، والعقل لا تتأدى إليه إلا
 مدركات ناقصة متقلبة ، على حين أن غرض العلم هو إدراك الحقيقة الكلية
 الثابتة ثبوتاً مطلقاً

فلما جاء أفلاطون وتلميذه أرسطو قررا أن الحقيقة الثابتة التي لا يعطينا
 العقل عنها إلا إدراكاً مشوشاً ناقصاً هي من العالم غير المادى الذى لا يدركه إلا
 الوجدان العقلي وحده ، فليطلق عليه اسم المثال أو الصورة أو غيرهما . إلا إنه في
 جوهره المدرك العام الذى يصل إليه العقل وحده ثم يعكسه على الخارج . فيكون على
 موجب هذا المذهب أن ما يناله العقل بوساطة الفكر هو المظهر الصحيح لما هو
 موجود في الخارج . ومن هنا تتحقق الوحدة بين العقل وما يدركه من أشياء الوجود ،
 وبذلك تصبح مسألة المعرفة محلولة على أتم ما يكون .

ولكن لم تلبث هذه النظرية أن اصطدمت بعقبات خطيرة ، فأن الأسباب

التي منعت اعتبار الشعور بالأشياء الخارجية نسخة صحيحة منها ، منعت من إعتبار المدركات صورة صحيحة للحقائق غير المادية ، واستحال الأمر إلى معرفة هل هذا الوجدان العقلي الصالح لأدراك الواقع من الأشياء فوق المحسوسة هو غير نتيجة تجريدات عقلية متتابعة تبتعد عن الواقع في كل درجة من درجاتها وتعزى المعرفة من موضوعها الأصلي . فوجب والحالة هذه البحث عن تفسير آخر لمسألة المعرفة

لما نبغ الفيلسوف أبيقور افتراض وجود صور متوسطة للأشياء غاية في اللطف ولكنها مادية من نوع مادة الروح (والروح مادية في مذهبه) تشع من الكائنات وتصل بالعقل ، أو بالعين مباشرة فيدركها . وبأدراكها يكون مدركا للأجسام التي تشع هي منها ولكن هذا المذهب قد أثار من الشبه أكثر مما أثاره أى مذهب تقدمه فلم يرفع به أحد رأسا

فلما انتهى الأمر إلى الفلاسفة المحدثين من الأوربيين . رفضوا أن يعترفوا بأن للعقل إدراكا مباشرا على الأشياء ، ولا وجدانا تتجلى فيه حقائقها الخارجية بدون وساطة

فأما ديكارت فقد حذف على نحو ما فعله أفلاطون وأرسطو المعرفة من طريق الحس ، ولكن لايحل محلها الوجدان العقلي المباشر ، بل قال إن الروح تدرك خاصة التحيز للأجسام بفطرتها على وجه واضح متميز . ولا يستنتج من هذا أنها تدرك الواقع مباشرة ولكنها لعلها من ناحية أخرى بوجود الله وأنه الخالق للكون والموجد لجميع خصائصه ، فأنها تعلم تبعا لذلك بأن كل ماتدركه من المتحيزات حق لأمرية فيه . فهي بذلك تدرك الواقع بدون أن تتخطى ذاتها . فالوجود الخارجى في حقيقته ليس عنده بشئ غير الفكر الذى يتولد فينا عنه ، وهذا الفكر فى الواقع هو فكر الله نفسه لأنه مستمد منه وقد تابعه فى ذلك ، مالبرانش وسبينوزا .

أما لينتز فقد انفرد عنهما بنظرية هامة . وهي أن الفكر لما كان مرآة للموجودات ، فإن الروح ترى فيه الأشياء بدون أى عمل مباشر من تلك الموجودات ولكن لما جاء (لوك) أرجع جميع المدركات إلى الشعور . فكان بمذهبه هذا معيدا عهد الفلاسفة اليونانيين القدماء الذين سبقوا سقراط في الوجود أما الفيلسوف الألماني (كانت) فقد قرر أن ليس العقل هو الذى يرتب مدركاته على الأشياء الخارجة عنه ، ولكن تلك الأشياء هى التى تترتب على مقتضاه . وكلنا يعلم بأى تحليل دقيق قرر الفيلسوف الألماني بأن العقل يضع فى كل معرفة شيئا من جوهره ، حتى فى أصغر المدركات وأحقرها . وليست وظيفة العلم إلا تحديد النواميس الضرورية لقيادة الكون ، وهى بهذا الاعتبار حقيقية وثابتة ، ومسيطرة على حدوث الظواهر الطبيعية وأما الفيلسوف الألماني (فيخت) فالواقع المحقق عنده هو الذات المطلقة وأما (شيلنج) وهو ألماني كالذى تقدمه ، فقال إن الوجود فكرة تتجسد فى الخارج

وذهب (هيجل) وهو من اطن لسابقه إلى أن الطبيعة هى مظهر الفكر المطابق وزاد عليهم (شوبنهاور) وهو من بنى جلدتهم فقال إن الكون ليس إلا صورة متمثلة ، وإذا أمكن أن يقال بأنه موجود باعتبار أنه إرادة فذلك على شرط أن يكون مدركا على مثال القوة المدركة له

أما الفلاسفة المعاصرون لنا فقد انقسموا فى هذه المسئلة إلى فرق كل منها تشايح مذهباً من المذاهب التى بسطناها . فمنهم من يتابعون أفلاطون ، ومنهم من يسايرون ديكارت ، وآخرون يحارون (كانت) . ولديهم أن الوجود ليس بشئ متميز عن الفكر الذى يجب تحديده علاقته بالمعرفة نفسها . وعليه فليس فى الأمر غير أشكال متنوعة من المعرفة يجب تمحيصها وتقدير قيمتها . فخلت عندهم بذلك مسئلة المعرفة محل مسئلة الوجود نفسه ، وأصبحت الفلسفة يحذاقها نقداً محضاً ؟ محمد فريد وجدي

آراء واقتراحات

في المجتمع المصري

لسعادة الباحثة أحمد شفيق باشا

وكيل جمعية الرابطة الشرقية

طابع الرجولة الذي يتخيره للشباب - المزج بين المدينتين الشرقية والغربية - رأيه في الأزياء عامة ، والطربوش خاصة .
الزى الذي يقترحه . رأيه في النساء والسفور والحجاب .
إقتراح عقد مؤتمر للعائلة الإسلامية .

شفيق باشا ، شخصية من أكبر الشخصيات البارزة ، التي أجمع الكل على احترامها ، وإيس هذا في مصر فحسب ، بل وفي عامة البلاد الشرقية ، وحسبه فخرا أنه المؤسس لفكرة الرابطة الشرقية فهو إذا ما حدثنا عن شيء ما ، فأنما يحدثنا عن الرأي الصائب ، والفكرة الناضجة .
لهذا . طابت الى سعادته ، أن يحدثنا ، عن رأيه في المجتمع المصري والتعديل الذي يرى ادخاله عليه . وعن طابع الرجولة الكاملة الذي يتخيره للشباب . فتفضل علينا بكتابة هذا الحديث الذي بدأه سعادته بقوله :

إن لكل من الشرق والغرب تقاليد وعادات يتأثر بها ولا يستطيع عنها نزوعا لما مر عليها من قرون وحقب ، واصطلح عليها من ظروف ومؤثرات .
وليس الخير في أن يأخذ المرء بتقاليد قومه وينطبع بطابعهم جملة . أو يرغب عن تقاليدهم وطابعهم جملة إلى غيرهم .
وليس يخفى علينا أن للشرق تقاليده وعاداته المتناقلة الموروثة . كما أن

للغرب كذلك . وليس يعزب عنا أن من هذه العادات وتلك التقاليد الحسن والضار . والرجولة الكاملة العاقلة . ليست في أن ينفاد الشخص إلى تقاليد الشرق أو الغرب انقيادا تاما . ولكنها في المزج بين تقاليد الاثنين واستصفاء ما هو أنفع وأجدى

وإنه لمن الجود والتعصب عندى . أن تقف بالمرء في دائرة ضيقة وأمام أفق محدود ، فلا تدعه يضرب في طريق التقدم والترقى . ولذلك فأنى من أنصار المزج بين الحضارتين والأخذ بما فى كليهما من الفضائل . فذلك وحده طريق الرجولة الكاملة . وليس يختلف اثنان في أن الغرب قد سبق الشرق بأشواط بعيدة في ميدان الحضارة والتقدم . ولذا وجب على الشرق أن يأخذ عنهم فضائل هذه الحضارة . يأخذ عنهم العلم المذهب المصفى . والاقتصاد والعناية بالصحة . ومعرفة الواجب والمحافظة على الوقت واستثماره فى النافع ، والثقة المتبادلة والصدق والأمانة . وغير ذلك من الصفات التى جاء بها الشرع الشريف ولا تتنافر وتقاليدنا ، والتى كان من إهمالها مانحن عليه من الضعف والتأخر . كما يجب علينا أن ننأى بجانبنا عن سيئ العادات شرقيا كان أم غربيا .

ويجربنا هذا الموضوع إلى مسألة (الزى) وهى مسألة خطيرة لأنها جزء من القومية . والغريب أنك لا تجد كالشرق عامة وكصر خاصة ، أمة تختلف فيها الأزياء اختلافا كبيرا . فأنك تكاد تجد كل طائفة زيا خاصا ، ولباسا يميزها من سائر الطبقات . وعندى أن أحسن الأزياء ما كان اقتصاديا صحيا يقدرك على العمل فى راحة ونشاط . ولقد تسرب إلينا الزى الأفرنجى وذلك عادة سيئة أخذناها عنهم دون تبصر أو تدبر . فأنه علاوة عن أنه يكلفنا الأثمان الباهظة . ضار بالجسم . فمثلا غطاء الرأس « الطربوش » نفهم أنه مفيد لمن يعيشون فى البلاد الباردة ، لما يكسب رؤوسهم من الدفء . أما فى مصر وجوها صحراوى حار . فإنه لا يبقى العينين ولا الرقة من الشمس . كذلك القميص المنشى (الكراقات) رباط الرقة . لا أرى لهما فائدة ، بل بالعكس فأنهما يضايقان الجسم

ولقد ابتكرت زياً كاملاً للضيف ، اقتصادياً وعملياً صحياً ، وليسته . ولكن بكل أسف لم ترق هذه البدعة في أعين من رآها لأنها ليس لها من الأناقة ما لغيرها . ونرجو أن يكون هناك في المستقبل من يرجع إلى هذا الزي بالتقسيح والتجميل حتى يصير مقبولا



صورة إسعاده أحمد شفيق باشا
في الزي الذي يقترحه



سعادة أحمد شفيق باشا
في الزي الرسمي



أما النساء فأنى أكره منهن الخلاعة الزائدة في الأزياء . تلك التي تتعارض والقواعد الصحية والمالية والشرع الأسلامى والذوق . ولست من أنصار الحجاب الكلى . وإنما أبيع للمرأة كما يبيع لها الشرع . أن تكون سافرة الوجه واليدين ، لما فى ذلك من المزايا التي أهمها أنها تقلل من لهفة الرجل على المرأة وأن يكون من ذلك حارس لها عن الزلل . لأنها بسفورها تكون معروفة . وشعورها بمعرفة الناس لها يعصمها عن الخطأ . كما أن السفور يسهل على طالب الزواج أن يرى من يريد أن تكون شريكه له في حياته كما تراه . ولا يخفى ما فى ذلك من منع المشاكل التي طالما قامت على عدم الرؤية . ولست مبتدعاً . فقد جاءت الشريعة الغراء بذلك . حيث

عرض أحد الصحابة على الرسول أمرزواجه فأوصاه بقوله « أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما »

وإن ما ابتدعه النساء من أمور « الزار » والعويل في الجنازات وغيرهما العادات قبيحة يجب العدول عنها

ولست أرى أن يتشبه الرجل بالمرأة وينافسها فيما خصتها به الطبيعة من صفات وميزات . بل أرى أن يكون رقيقا في شهامة . وديعا في رجولة . وإن المرأة ليعجبها من الرجل الرجولة بكامل معناها . لا التأنت والتهل . لأنها لا تريد بجانبها امرأة أخرى تسابقها في صفاتها .

وانتعدل الذي أراه أن نأخذ من الغرب ما لا يتنافى مع المدينة الشرقية . سواء كان من جهة الشرع أو العرف . وأفضل الوسائل عندي : عمل مؤتمر يسمى « مؤتمر العائلة الإسلامية » وفيه يبحث عن العادات الحسنة والضارة ، ثم يقرر الصالح منها . و يعدل ما يلزم تعديله بحيث لا يختلف مع الشرع والتقاليد الشرقية . وبعد فأن الغرب برقيه المادى والفكرى لا يستغنى عنه الشرق . لأنه متمم له ولاغنى لأحدهما عن الآخر وإن اختلفت الأديان . وإنه أصبح من مصلحة الإنسانية أن يكونا صديقين متضامنين في خدمتهما لخصمين عاملين على شقاءهما ؟
أحمد شفيق

يسر (المعرفة) أن تبلغ سعادة الباشا شكرها الحار على رأيه الصائب وفكرته القيمة . وهي تعان منذ الآن ، موافقتها على فكرة سعادته في اقتراح عقد مؤتمر العائلة الإسلامية ، وستدعو جهد طاقتها إلى إخراج الفكرة من حيز القول إلى حيز العمل كذلك يسرها أن تبلغ الباشا موافقتها التامة على فكرته الخاصة بتوحيد الرى . فأما من حيث شكله وبخاصة غطاء الرأس — الطربوش — فسأله فيها نظر . وسنعرض في القريب العاجل لإنشاء الله . مجموعة من الآراء والأحاديث تحدث بها إلينا كثير من ذوى الفضل والرأى المسموع عن فكرة سعادة الباشا ؟
المحرر

كيف يستعاد مجد الإسلام ؟

للأستاذ الجليل

السيد محمد الغنيمي التفتازاني



الأستاذ التفتازاني علم من أعلام مصر البارزين ، وشيخ من شيوخها المجليين . يمتاز بأنه نادرة العصر ؛ فهو نسيج وحده ، كثير العمل ، قليل الكلام . وله خدمات الأمة لا تنسى ، وجولات في خدمة الإسلام والمسلمين لا تحصى ، وابتس دفاؤه عن (جدار المبكي) بالقدس ، يبعيد عن الأذهان . وقد تفضل علينا بهذا الموضوع الذي يراه القراء بعد ؟

المحرر

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله

عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا .

صدق الله العظيم

إنه الأمل ؛ نعيش في ظله ، وننعم بلذة تخيل تحقيقه ، ونحس الحياة تدب

في موضع الموت من مراحلها ، بما نبعث له من قوى كوامن ، وبما نزوده

من دأب وكد

ولولا الأمل لهلك الناس
والآن أيها القراء الأعزاء ، هل يستعاد مجد الإسلام ؟
أرأني لو وجهت هذا السؤال إلى المسلمين جميعا لكان جواب أغليتهم لا .
أما أنا فأقول نعم ، قد يستعاد مجد الإسلام لأنني أعيش بالأمل
أنظروا أيها الأخوان في الإسلام
هاهي بلادكم مظهر سلطان الغاصبين وقد كانت بالأمس مهاد القوة ومصدر
الرحمة والعرفان
ها أنتم الآن عبيد لمن كانوا بالأمس لا يستحقون أن يكونوا لكم عبيدا
لأن دينكم السمح سوى بين العبد الرقيق الزنجي وسيده الشريف المنسب
ها أنتم الآن في جميع بلاد العالم كمرىض كله قروح وكل قرحة من داء
مختلف ، كلما داويت جرحا سال جرح
ها أنتم الآن أبعد المسلمين عن الإسلام ، لولا أسماؤكم لانقطعت بينكم
وبينه كل صلة
ها أنتم الآن أموات يلبسون ثياب الأحياء ، أوهى الهياكل البشرية خلت
من كل المميزات إلا من اللحم والدم
وهل بعد ذلك كله لا يزال فيكم من يقول باستعادة مجد الإسلام ؟؟؟
نعم أنا أقولها وأعمل دائما للوصول إليها
نعم أنا موقن أن مجد الإسلام سيعاد للدينا مرة أخرى ، وسيرى الذين
في قلوبهم مرض أن المسلمين سيغدون أعلام الشرف ومنائر العزة
وسيعود الإسلام إلى بسط لوائه على العالم مرة أخرى
وأى لواء هذا الذي سيحقق باسم الإسلام على العالم ثانية ؟
إنه ليس لواء السيف ، ولا لواء القوة والبطش ، ولا لواء الاسترقاق
والاستعباد ، إذ الإسلام براء من ذلك كله
ولكنه لواء العدل والرحمة

إن أعدى أعداء الإسلام لا يستطيع أن يرميه بما يشوه من جماله
وقد لا يوجد الآن أعدى للأسلام من المظاهرين بالأسلام
أيها الأخوان في الإسلام
هل تحبون أن يستعيد الإسلام مجده ؟؟
هل تتوقون إلى تحقيق ذلك الحلم الذهبي الجليل ؟؟؟
لكم سيقول نعم بلا شك
إن ذلك في أيديكم
إن ذلك في مقدور يصل إلى تحقيقه بمجهود يسير كل منكم
إن ذلك يكون ويكون ويكون
ولكن
بعرفان الله



أيها الأحباب
اعرفوا الله يعرفكم ، وتقربوا إليه يأخذ بأيديكم وأقيموا حدود الله
يحفظكم بسياس رعايته ويحفظكم
ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون
أيها الأخوان
أين أنتم الآن ؟
إنكم في مهمه مشوه ، لا يستطيع تعرف وجوهكم أحد
لأنكم شوهتم معالمها بالمعاصي ، وقتلتم روح التوحيد في قلوبكم بالتعويل
على غير الله الذي تكادون تشركون به
وهدمتم حصون الأخلاق بما أسفغتم إليه من الموبقات والدنايا

ومزقتم وحدة الإسلام بالانصراف عن علومه وآدابه
ونسيتم القرآن نسيان السكاره وأراكم وقد طبعكم حالكم بطابع الضعف
والاستكانة ، أحوج الناس إلى معاودة الحياة قريبة من السعادة
أن تصلوا إلى ذلك إلا اذا صالحتم الله تعالى بعرفان حقوقه
أيها الأخوان

أين أتم من عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه حين قال
أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم ثلاثيتكم ، وأصلحوا آخرتكم
تصلح دنياكم ، وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق فى الموت
أين أتم من عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين كان يقول
اللهم إني غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار
الآخرة . اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم إني كثير
الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكر الموت فى كل حين
اللهم ارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير
ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم
اللهم إني شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا
تبذير ولا رياء ولا سمعة

واجعلنى أبتغى بذلك وجهك والدار الآخرة
اللهم إني ضعيف عن العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها ،
بالنية الحسنة التى لا تكون إلا بعزتك وتوفيقك
اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك ،
وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى وإصلاح الساعات والحذر
من الشهوات ، اللهم ارزقنى التفكير والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له
(والمعرفة) بمعانيه ، والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت . إنك على كل شىء قدير
بهذا خطب الناس أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وهذا ناجي ربه من أعماق فؤاده
فماذا كانت النتيجة ؟

كانت أن فتح الله له الأمصار ونشر بعدله الهداية بين الأمم
وأغمض عمر رضى الله عنه جفنيه عند لقاء العزيز الرحيم ، وقد ترك علم
الإسلام خفاقا وخالف من آيات عدله ما خلد ذكره على الحقب
إذن اعرفوا الله أيها الأحباب وتقربوا منه بالطاعة

وليؤد كل منا واجبه كما أراد الله وحث عليه رسوله صلى الله عليه وسلم
وإذا علمتم أن أول العلم معرفة الجبار ، وأن آخر العلم تفويض الأمر
إليه ، استطعتم أن تعرفوا تماما مبلغ ما لعرفان الواجب من الفضل في
تكوين الأمم

وإذا قام المسلمون بواجبهم نحو دينهم وأوطانهم كمسلمين
استعيد مجد الإسلام

محمد الغنيمي التفتازاني
شيخ السادة الغنيمية

الحنفى ، مصر

حِكْمَةٌ وَامْتِلَاقٌ

أفضل الأشياء

وفد قس بن ساعدة الأيادي ، على قيصر الروم مرة ما فسأله قيصر : ما أفضل
العقل ؟ قال : معرفة المرء نفسه . قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه
قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه . قال : فما أفضل المال ؟
قال : ما قضى به الحقوق .

الفلسفة والدين

عند فلاسفة الإسلام

للاستاذ عثمان أمين

ليسانسيه فى الفلسفة والآداب
وعضو بعثة الجامعة المصرية

هذا عنوان لمحاضرة ، ألقاها صديقنا الفاضل ، الأستاذ عثمان أمين ، فى كلية الآداب
بقسم الفلسفة .

وقد خصنا الأستاذ بنشرها . فنشكر له ثقته بنا ، وها نحن أولاء ننشرها فى هذا
الجزء ، بنصها وفصها ، ليطلع عليها حضرات إخواننا طلبة الفلسفة بالجامعة ، قبل امتحانهم
الآخر . كل الله مساعيمهم بالنجاح .

المحرر



يقول موريس ولف فى كتابه « تاريخ فلسفة القرون الوسطى » فى معرض
الكلام عن فلاسفة العرب : « إن التوفيق بين الفكر الفلسفى وبين العقيدة الإسلامية
كان من أكبر ما انصرفت إليه عناية فلاسفة العرب . غير أن أغلبهم يفرق بين
دين المستنيرين المبني على دراسة فلسفية ، وبين دين الدهماء القائم على تأويل
القرآن تأويلا حرفيا . ويتصل بهذه العناية المناقشات التى ثارت بين المتكلمين من
أهل السنة ، وبين غير واحدة من الفرق المارقة التى لا يسمح المقام بتقصي تاريخها ...
وكارادى فو وغيره يطلقون « المدرسية الإسلامية » (Scolastique musulmane)
على تلك المحاولة التى تبغى التوفيق بين القرآن والفلسفة . ومع ذلك

فلا ينبغي أن يغرب عن البال أن فلاسفة العرب نحووا في تفسير العالم منحى قائما بذاته مستقلا عن خضوعهم للقرآن ، (١)

ونحن إذا تقصينا آراء فلاسفة الإسلام واحداً واحداً في هذا الصدد ، أعني بصدد الفلسفة والدين ، لوجدنا مقالة ولف تشبه أن تكون صادقة منطبقة على الواقع في مجموعها . فقد كان فلاسفة الإسلام مسلمين مؤمنين مخلصين حقاً لدينهم يعتقدون اعتقاداً يقينياً كما يقول المستشرق « تمان » إن الإسلام هو أكمل وحى إلهي ، فلتن كانوا قد حاولوا التوفيق بين مذاهب الفلسفة التي يحبونها ، ويكرسون لها حياتهم ، وبين عقائد الإسلام الذي يؤمنون به ويقدمونه ، فلم يكن مرجع ذلك إلى أنهم نصبوا أنفسهم حماة للدين كما يقول ذلك المستشرق ، بل لكي يدرأوا عن أنفسهم شبه الأشعرية وغير الأشعرية مما كانوا يرمونهم بالزندقة والمروق ، لاشتغالهم بالفلسفة وعلوم الأوائل . وحسبنا . لكي نفهم هذا ، أن نورد بيتين من الشعر قبل أن نوصفهم على الفيلسوف ابن رشد بالنبي من بلاده واضطهاد أنصاره :

نفذ القضاء بأخذ كل مضلل متفلسف في دينه مترذق
بالمنطق اشتغلوا فقليل حقيقة إن البلاء موكل بالمنطق

لقد كان أولئك الفلاسفة يرون للفلسفة مكانها وللدين مكانه . كل منهما يؤدي وظيفته في الحياة من غير أن يكون بينهما مصادمة ولا نزاع فالفيلسوف يصل عن طريق العقل إلى إدراك الأمور النظرية ، وهو يلجأ بطرف من الحقائق العملية . مهمته إذن نظرية : البحث في العقائد والنظر في الحقائق العقلية . أما النبي فهو يدرك في سبيل الوحي الحقائق العملية ، وطرفاً من الحقائق النظرية : وهو يرى في حالة إشراق النظام الأكمل للكون ، فيحاول أن يهدي الناس إليه . فوظيفته إذن عملية تشريعية أكثر منها نظرية . كانوا يرون أن مهمة النبي

(١) تاريخ القرون الوسطى لموريس ولف . جزء أول ص ٢٠٩

هي تحقيق العدل في هذا العالم . ومهمة الفيلسوف هي التشبه بالله في كمال المعرفة .
وهذا المعنى يقول الفارابي في رسالته « فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة » :
وأما الغاية التي يقصد إليها في تعلم الفلسفة فهي معرفة الخالق تعالى وأنه واحد غير
متحرك . وأنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء ، وأنه المرتب لهذا العالم بجوده وحكمته
وعدله . . . وأما الأعمال التي يعملها الفيلسوف فهي التشبه بالخالق بمقدار طاقة
الإنسان »

والفارابي لا يرى بين الفلسفة والدين تعارضا ولا منافرة . وإذا كان قد
وجد بينهما اختلاف ، فليس ذلك إلا في الظاهر . لأن الشريعة تخاطب الجمهور .
والجمهور لا قبل له أن يدرك من أسرار الأمور وبواطنها ما يدركه الفلاسفة
بالبراهين الحقيقية . لذلك خاطبهم الشرع بما استطاعوا تصوره وإدراكه .
ونحن نرى هذه الفكرة تنشأ عند الفارابي ولا تلبث أن تنمو وتترعرع مع
الزمن عند خلفائه من الفلاسفة حتى تبلغ القمة في الوضوح والصراحة لدى
الفيلسوف ابن رشد .

ولننظر قول الفارابي في رسالته المسماة « الجمع بين رأيي الحكيمين افلاطون
وارسطو » وهي رسالة كتبها وفسر فيها العالم تفسيراً فلسفياً لا يناقض الدين
الأسلامي : « والبرهانيات موكولة إلى ذوى الآراء السديدة . والشرعيات موكولة
إلى ذوى الألهامات الروحانية . وأعم هذه كلها الشرعيات . وألفاظها خارجة
عن مقادير عقول المخاطبين . لذلك لا يؤخذون بما لا يطبقون تصوره . فأن من
تصور في أمر المبدع أنه جسم ، وأنه يفعل بحركة وزمان . ثم لا يقدر بذهنه على
تصور ماهو أطف من ذلك وأليق به . ومهما توهم أنه غير جسم وأنه يفعل بلا
حركة وزمان . لا يثبت في ذهنه معنى متصور البتة . وإن أجبر على ذلك زاده غياً
وضلالاً ، وكان فيما يتصوره ويعتقده معذورا مصيبا ، ثم يقدر بذهنه أنه غير
جسيم وأن فعله بلا حركة ، غير أنه لا يقدر على تصور أنه لا في مكان ، وإن أجبر
على ذلك وكلف تصوره تبدل ، فإنه يترك على حاله ولا يساق إلى غيرها . وكذلك

لا يقدر الجمهور على معرفة شيء يحدث لا عن شيء ، ويفسد لا إلى شيء . فلذلك ما قد خوطبوا بما قدروا على تصويره وإدراكه وتفهمه . لا يجوز أن ينسب شيء من ذلك فيما هو في موضعه إلى الخطأ والوهي . بل كل ذلك صواب مستقيم . فطرق البراهين المقنعة المستقيمة العجيبة النفع منشأها عند أصحاب الشرائع الذين عوضوا بالأبداع الوحي والألهامات »

ونرى الفارابي يعرض في هذه الرسالة أيضا لآراء افلاطون وارسطو في مسائل عدة ، ويحاول أن يبين أنه لا خلاف فيهما من آرائهما من جهة ، ولا بين آرائهما وبين العقيدة الإسلامية من جهة أخرى . وأخيرا يتناول فيها ثلاث مسائل مما كثر حولها التنازع بين أهل النظر العقلي وأصحاب النظر الشرعي . ويشير إلى مواضع الشبه ومداخل الشكوك فيها وهي : قدم العالم ، وإثبات الصانع ، والثواب والعقاب . ويحاول أن يثبت اتفاق أفلاطون وارسطو على أن العالم يحدث وليس بقديم ، واتفاقهما على أنه لا بد له من صانع ، وينفي عنهما شبهة الاعتقاد بنى الثواب والعقاب ، ويستدل على أن ارسطو كان يرى أن الجزاء واجب في الطبيعة برسالة كتبها ارسطو نفسه إلى والده الاسكندر حين بلغها نعيه وجزعت عليه . . .



أما ابن سينا فكلامه في هذا المعنى أصرح وأجلى . فبعد أن أثبت الحاجة إلى وجود نبي يخاطب الناس لهدايتهم وإقامة العدل بينهم ويسن للناس في أمور معاشهم سنا بأمر الله تعالى ، ووحيه ، قال فيكون الأصل فيما يسنه تعريفه إياهم أن لها صانعا واحدا قادرا ، وأنه عالم بالسر والعلانية ، وأنه من حقه أن يطاع أمره ، وأنه يجب أن يكون الأمر لمن له الخلق ، وأنه قد أعد لمن أطاعه المعاد المسعد ، ولمن عصاه المعاد المشقى ، حتى يتلقى الجمهور رسمه المنزل على لسانه من الآله والملائكة بالسمع والطاعة . ولا ينبغي له أن يشغلهم بشيء من معرفة الله تعالى فوق أنه واحد حق لا شبيه له . فأما أن يتعدى بهم إلى تكليفهم

أن يصدقوا بوجوده وهو غير مشار إليه في مكان فلا ينقسم بالقول ؛ ولا هو خارج العالم ولا داخله ، ولا شيء من هذا الجنس - فقد عظم عليهم الشغل وشوش فيما بين أيديهم الدين ، وأوقعهم فيما لا يخلص عنه إلا من كان الموفق الذى يشذ وجوده ويندر كونه . فإنه لا يمكنهم أن يتصوروا هذه الأحوال على وجهها إلا بكبد . وإنما يمكن القليل منهم أن يتصور حقيقة هذا التوحيد والتزيه ، فلا يلبثون أن يكذبوا بمثل هذا الوجود ؛ أو يقعوا فى الشارع ، وينصرفوا إلى المباحثات والمقاييسات التى تصدم عن أعمالهم البدنية ، وربما أوقعتهم فى آراء مخالفة لصالح المدينة ومنافية لواجب الحق . فكثرت فيهم الشكوك والشبه وصعب الأمر على اللسان فى ضبطهم . فما كل متيسر له فى الحكمة الإلهية . ولا يصح بحال أن يظهر أن عنده حقيقة يكتمها عن العامة . بل لا يجب أن يرخص فى التعرض بشيء من الأشياء التى هى عندهم عظيمة وجليلة ، ويلقى إليهم منه هذا القدر ، أغنى أنه لا نظير له ولا شبيه ولا شريك . وكذلك يجب أن يقرر عندهم أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته وتسكن إليه نفوسهم ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ويتصورونه . أما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه إلا أمرا مجملا : وهو أن ذلك شيء .

لا عين رآته ولا أذن سمعته ولا بأس أن يشتمل خطابه على رموز وإشارات ليستدعى المستعدين بالجيلة للنظر إلى البحث الحكيم فى العبادات ومنفعتها فى الدنيا والآخرة . . . » (١)

و بعد هذا يمضى ابن سينا منها إلى ما ينبغي أن يسن النبي للناس من فروض العبادات ووسائل القربى إلى الله . ثم يقول : « فهذه الأحوال (أحوال العبادات والقربى) ينتفع بها العامة فى رسوخ ذكر الله - عز اسمه - فى أنفسهم فيدوم لهم التثبيت بالسنن والشرائع بسبب ذلك وإن لم يمكن لهم مثل هذه

المذكرات تناسوا جميع ذلك مع انقراض قرن أو قرنين . و ينفعهم أيضا في المعاد منفعة عظيمة فيما ينزه به أنفسهم على ما عرفته . وأما الخاصة فأكثر منفعة هذه الاشياء إياهم في المعاد . فقد قررنا حال المعاد الحقيقي ، وأثبتنا أن السعادة في الآخرة مكتسبة بتنزيه النفس ، وتنزيه النفس تبعيدها عن الهيئات البدنية المضادة لأسباب السعادة »

فظاهر من كلام ابن سينا أنه يقسم الناس إزاء الدين فريقين : خاصة وعامة . فالخاصة هم أهل النظر في العقائد والعبادات . أما العامة فينبغي ألا يلقي إليهم من ذلك إلا ما تقبله أفهامهم وتتسع له مداركهم خشية أن تضطرب آراؤهم وتترزل عقائدهم

فقصدهم الدين هداية الناس لبلوغ السعادة في الدارين ، ومقصدهم الفلسفة تأهيل الفيلسوف لدرك « السعادة الحقيقية » . ولكن ماهي هذه السعادة الحقيقية التي ينشدها الفيلسوف وكيف السبيل إلى تحقيقها ؟

يرى ابن سينا أنه للوصول إلى « السعادة الحقيقية » ، ينبغي أن يتوفر في حق الفيلسوف ركنان : أحدهما نظري والآخر عملي . أما الركن النظري فهو كمال المعرفة كما رأينا لدى الفارابي . ولكن كمال المعرفة عند ابن سينا على ضروب : أحدها : تصور المبادئ ، المفارقة تصورا حقيقيا والتصديق بها تصديقا يقينيا . والثاني : معرفة العلل الغائية للأمر الواقعة في الحركات الكلية دون الجزئية . الثالث : معرفة النظام الكلي والترتيب الذي عليه الكائنات من المبدأ الأول إلى أخس الموجودات .

الرابع : تصور العناية الالهية وكيفيتها - ثم لابد أخيرا من توثيق العلاقة مع العالم الآخر والشوق إليه .

هذا هو الركن النظري في تحقيق السعادة

أما الركن العملي فتزويه النفس أي تبعيدها عن الهيئات البدنية المضادة لأسباب السعادة . وهذا التزويه يحصل بأخلاق وملكات . والأخلاق والملكات

تكتسب بأفعال من شأنها أن تصرف النفس عن البدن والحس ، وتديم تذكيرها المعدن الذي لها ، حتى تركو وتشتاق إلى كمالها وتطلبه . فإذا كانت كثيرة الرجوع إلى ذاتها لم تنفعل ولم تتأثر من الأحوال البدنية . وإن دامت هذه الأفعال من الإنسان استفاد ملكة الالتفات إلى جهة الحق والأعراض عن الباطل ، وصار شديد الاستعداد للتخلص إلى السعادة بعد مفارقة البدن .



ولنخط الآن إلى الغزالي ذلك الجبار الذي أمعن في الفلسفة طعنا وتجريحا ونادى بوجوب زجر كل من يدرس في علومها بحجة أن بعض الذين مارسوها ركبوا شططا وانحرفوا عن جادة العقيدة الشرعية (١)

ولسنا نفهم كيف ساغ للغزالي أن يطعن على الفلسفة ويرميها بتشويش آراء العوام وعدم معتقداتهم الدينية . مع أن العامة هم أبعد الناس عن الاطلاع على آراء الفلاسفة والوقوف على دقائق مباحثهم . ومع أن الفلاسفة أنفسهم ما طمعوا يوما في استرضاء الجماهير ولا النزول إلى مجادلة العوام والجهال . ولكنهم توخوا من مبدأ الأمر أن يخاطبوا طبقة الخواص والعلماء ، على ما أوضحنا بيانه فيما سبق من القول :

وليت شعري أكان الغزالي منطقيا مع نفسه في الجهر بهذه الصيحة ضد الفلاسفة ؟ مع أننا نراه يقول في مفتتح كتابه « إجماع العوام عن علم الكلام » مانصه : « أما بعد فقد سألتني - أرشدك الله - عن الأخبار الموهمة للتشبيه عند الرعاع والجهال من الحشوية الضلال ، حيث اعتقدوا في الله وصفاته ما يتعالى ويتقدس عنه من الصورة واليد والقدم والنزول والانتقال والجلوس على العرش والاستقرار وما يجري مجراه . . . » ثم يقول بعد ذلك « وحققة مذهب الساف - وهو الحق عندنا - أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث من

(١) راجع المنقذ من الضلال للغزالي : فصل في أقسام علوم الفلاسفة

عوام الخلق ، يجب عليه فيه سبعة أمور : التقديس ثم التصديق ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الإمساك ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة . . . »
أليس هذا هو عين ما يقول به الفلاسفة ، على ما رأينا ، من وجوب صرف العامة عن البحث في حقائق أمور الدين ووجوب عدم التصريح لهم بما يعسر عليهم إدراكه ، بل يترك ذلك إلى أهل المعرفة والعلماء ؟
الحق أنه إذا كان هناك من هو أولى باللوم والمواخذة لتصريحه في بعض كتبه بما لا يجب التصريح به للجمهور ، فهو الغزالي نفسه ومعه فريق من المتكلمين .



أما الفيلسوف الأندلسي ابن طفيل فسا علينا إلا أن نقرأ قصته الفلسفية الرائعة التي سماها « حي بن يقظان » فتجد ذلك المنى الذي أشرنا إليه مثلاً فيها أبلغ تمثيل . وخلاصة هذا الرأي عنده أن الحقيقة المجردة الخالصة لا يمكن أن يصرح بها للعامة المبكّلين في أغلال الحواس . وأنه لأجل النفاذ إلى تلك الأذهان الجامدة والتأثير على هذه الإرادات العانية . اقتضت الحكمة أن تحاط الحقيقة بالرموز والأشارات . وذلك شأن الأديان المنزلة .



أما ابن رشد فقد كتب في هذا الموضوع وأسهب . كتب فيه رسالته « فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعة من الاتصال » و « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » . وهو يبين في « فصل المقال » أن الحكمة تطابق الشرع ولا تخالفه . فأن الشرع قد أوجب النظر في الموجودات واعتبارها . ولما كان الاعتبار ليس شيئاً أكثر من استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه ، وهذا هو القياس العقلي - فوجب أن نجعل نظراً في الوجود بالقياس العقلي . وإذا كان قد عرض لصناعة القياس العقلي سوء استعمال من قبل بعض الناس كما عرض لغيرها من الصناعات ، فليس معنى هذا أن يصدف سائر الناس عنها ،

أو أن ينهوا عن ممارستها . وليس يلزم كما يقول ابن رشد (من أنه إن غوى غاو بالنظر فيها وزل زال ، إما من قبل نقص فطرته ، أو من قبل سوء ترتيب نظره فيها ، أو من قبل غلبة شهواته عليه ، أو أنه لم يجد معلما يرشده إلى فهم ما فيها ، أو من قبل اجتماع هذه الأسباب فيه أو أكثر من واحد منها - أن تمنعها عن الذى هو أهل للنظر فيها . فأن هذا النحو من الضرر الداخلى من قبلها ، هو شئ لحقها بالعرض لا بالذات . وليس يجب فيما كان نافعا بطباعه وذاته أن يترك لمكان مضره موجودة فيه بالعرض)

إذن فالشرع يدعو إلى النظر البرهانى . ولكن كيف السبيل إذا أدانا النظر البرهانى إلى نحو من المعرفة يخالف لظاهر ما نطق به الشرع ؟
هنا يقرر ابن رشد أنه إن أدى النظر البرهانى إلى نحو من المعرفة بموجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكنت عنه فى الشرع أو عرف به
فإذا كان مما سكنت عنه فلا تعارض هناك ، وهو بمنزلة ما سكنت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعى .

وإن كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق أن يكون موافقا لما أدى إليه البرهان فيه أو مخالفا . فأن كان موافقا فلا قول هناك . وإن كان مخالفا طالب هناك تأويله . والتأويل معناه إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل فى ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز من تسمية الشئ بشيئه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التى عودت فى تعريف أصناف الكلام المجازى

وابن رشد يقطع قطعا بأن كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع فذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربى . على أنه ليس ينبغى أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها ، ولأن تخرج كلها من ظاهرها بالتأويل فالتأويل أحكام يجب مراعاتها .

والشريعة إذن قسمان : ظاهر وباطن . وسبب ذلك اختلاف فطر الناس

وتبين قرائحهم في التصديق . والظاهر هو فرض الجمهور . أما المؤول فهو فرض العلماء ولا يصح أن يفصح بتأويله للجمهور : إذ يجب ألا يعلم بالباطن من ليس من أهل العلم به ولا يقدر على فهمه ، كما روى البخارى عن على كرم الله وجهه أنه قال : « حدثوا الناس بما يعرفون . أتريدون أن يكذب الله ورسوله » . ولهذا ينبغي ألا تثبت التأويلات إلا في كتب البراهين ، لأنها إذا كانت في كتب البراهين لم يصل إليها إلا من هو أهل البرهان وهم الخاصة والعلماء . وأما إذا ثبتت في غير كتب البرهان واستعمل فيها الطرق الشرعية والخطائية أو الجدلية خطأ على الشرع وعلى الفلسفة . ومن أجل هذا تعيب ابن رشد على الغزالي أنه صرح بالحكمة كلها للجمهور وبآراء الحكماء على ما أداه إليه فهمه في كتابه (مقاصد الفلاسفة) . وكان الصواب أن يقر الشرع على ظاهره وألا يصرح للجمهور بالجمع بينه وبين الحكمة . لأن التصريح بذلك هو تصريح بنتائج الحكمة لهم دون أن يكون عندهم برهان عليها . وهذا غير جائز : لأن المصرح إليه لا يكون حينئذ لا مع العلماء الجامعين بين الشرع والعقل ، ولا مع الجمهور المتبعين لظاهر الشرع . واذن فالغزالي في نظر ابن رشد قد أدخل في كتبه بالشرع والحكمة جميعا : أدخل بالشرع لأفصاحه فيها بالتأويل الذى لا يجب الإفصاح به . وأدخل بالحكمة لأنه أفصح بمعان يجب ألا يصرح بها إلا في كتب البرهان .

فإذا رأى قوم من المنتسبين إلى الشرع أو إلى الحكمة أن الحكمة مخالفة للشرعية فليعلبوا أنها ليست تخالفها . وليعرف كل واحد من الفريقين أنه لم يقف على كنهها بالحقيقة . . . ثم يقول ابن رشد بعد هذا « إن رأى فى الشريعة الذى أعتقد مخالفته للحكمة فهو رأى إما مبتدع فى الشريعة ليس من أصاها . وإما هو رأى خطأ فى الحكمة أعنى أنه تأويل خطأ عليها » كما عرض فى مسألة علم الجزئيات وفى غيرها من المسائل . والمتأمل لأصول الشريعة يجد أنها أشد مطابقة للحكمة مما أول منها . مثال ذلك ما وقع فى مسألة القضاء والقدر فأن الشرع يوافق فيها العقل مع أن المتأولين قد خرجوا بها عن مقصد الشرع . وقد وقعوا فى حيرة حين

رأوا تعارضاً في الأدلة السمعية وتعارضاً في الأدلة العقلية :

بعض الأدلة تدل على أن الإنسان مجبور، وبعضها على أنه مخير. لكن ابن رشد يرى في التوفيق بين هذا التعارض في المعقول والمسموع - يرى رأياً يتفق مع الشرع ولا يخالف حكم العقل، فعنده أن الظاهر من مقصد الشرع ليس التفريق بين هذين الاعتقادين أعنى الجبر والاختيار، وإنما قصده الجمع بينهما على التوسط : وذلك أن الله خلق لنا قوى نقدر بها على اكتساب أفعالنا. لكن الاكتساب لتلك الأفعال لا يتم إلا بمواتاة الأسباب التي سخرها الله من خارج وزوال العوائق عنها. فأرادتنا إذن مقيدة بالأمور التي من خارج ومربوطة بها، بحيث أن الأفعال المنسوبة إلينا يتم فعلها بأرادتنا وبموافقة الأفعال التي من خارج لها. وهي المعبر عنها « بقدر الله » ولما كانت الأسباب التي من خارج تجري على نظام محدود وترتيب مقدر، فوجب أن تكون أفعالنا تجري على نظام محدود، أعنى أنها توجد في أوقات محدودة وبمقدار محدود. وليس هناك ارتباط بين أفعالنا والأسباب التي من خارج فحسب، بل بينها وبين الأسباب التي خلقها الله تعالى في داخل أبداننا. والنظام المحدود الذي في الأسباب الداخلة والخارجة. هو « القضاء والقدر ». وعلم الله بهذه الأسباب وبما يلزم عنها هو العلة في وجود هذه الأسباب. لذلك كان الله هو العالم بالغيب وحده. وكذلك استطاع ابن رشد أن يبين كيف أن لنا اكتساباً في أفعالنا، وكيف أن جميع مكتسباتنا بقضاء وقدر سابق. وذلك في نظر ابن رشد هو الجمع الذي قصده الشرع في مسألة القضاء والقدر. وعلى هذا النحو جرى الفيلسوف في عدة مسائل أخرى تمس الفلسفة والدين.

ولابن رشد نظرية في التأويل، يبحث فيها فيما يجوز تأويله في الشرع وما لا يجوز. فيرى أن المعاني الموجودة في الشرع صنفان : أولهما : أن يكون المعنى الذي صرح به هو بعينه الموجود بنفسه. وهذا الصنف لا يقبل التأويل، وتأويله خطأ من غير شك. الثاني : ألا يكون المعنى المصرح به في الشرع هو المعنى الموجود وإنما أخذ بدله على جهة التمثيل. وهذا انصنف على أربعة أقسام :

(١) فأما أن يكون المسمى الذى صرح بمثاله لا يعلم وجوده إلا بمقاييس بعيدة مركبة تتعلم فى زمان طويل ، وصنائع حمة . وليس يمكن أن تقبلها إلا الفطر الفائقة . وكذلك لا يعلم لماذا هو مثال إلا بعلم بعيد . وهذا القسم تأويله خاص بالراسخين فى العلم ولا يجوز التصريح به لغير الراسخين .

(٢) أن يعلم كونه مثالا ، ولماذا هو مثال - الأمران يعلمان جميعا بعلم قريب . وهذا تأويله هو المقصود والتصريح به واجب .

(٣) أن يعلم أنه مثال لشيء بعلم قريب . و يعلم لماذا هو مثال بعلم بعيد مثل قوله عليه السلام (الحجر الأسود يمين الله فى الأرض) ؛ فهذا لم يأت التمثيل فيه من أجل بعده عن أفهام الجمهور ، وإنما أتى فيه التمثيل لتحريك النفوس إليه . والواجب فيه ألا يتأوله إلا الخواص والعلماء . ويقال للذين شعروا أنه مثال ، ولم يكونوا من أهل العلم لماذا هو مثال ؟ إما أنه من المتشابه الذى يعلمه العلماء الراسخون . وإما أن ينقل التمثيل فيه لهم إلى ما هو أقرب من معارفهم أنه مثال .

(٤) أن يكون كونه مثالا معلوما بعلم بعيد إلا إنه إذا سلم أنه مثال ظهر عن قريب لماذا هو مثال ؟ وهذا القسم فيه نظر : فيحتمل أن يقال إن الأولى ترك التأويل فى حق من لا يدرك أنه مثال إلا بشبهه ، ويدركون أنه إن كان مثالا فلماذا هو مثال ؟ ويحتمل أن يطلق لهم التأويل لقوة الشبه الذى بين ذلك الشيء وذلك الممثل به .

لكن ابن رشد يرى بأن القسمين الأخيرين متى أيسح التأويل فيهما تولدت منهما اعتقادات غريبة وبعيدة عن ظاهر الشريعة . وأنه لما كان قد تسلط على التأويل فى هذه الشريعة من لم يتميز له هذه المواضع ، ولا تميز له الصنف من الناس الذين يجوز التأويل فى حقهم ، اضطرب الأمر فيها ، وحدث فيهم فرق متباينة يكفر بعضهم بعضا . . . ومن هنا اختلفوا فقال قوم أول الواجبات الإيمان وقال آخرون بل أول الواجبات النظر ، فلم يعرفوا أى الطرق الثلاثة (يعنى الخطائية والجدلية والبرهانية) هى المشتركة للجميع والتى دعا الشرع من أبوابها جميع

الناس . وظنوا أن ذلك طريق واحد فأخطأوا مقصد الشارع . مع أنه إذا قوبل الكتاب العزيز وجد فيه الطرق الثلاثة « فن حرفها بتأويل لا يكون ظاهرا بنفسه ، أو أظهر منها للجميع وذلك شئ غير موجود ، فقد أبطل حكمها »
 فإذا تقرر هذا وكنا نعتقد معشر المسلمين أن ديننا حق ، وأنه يدعو إلى النظر المؤدى إلى الحق ، فأنا نعلم قطعاً أن النظر البرهاني لا يؤدي إلى مخالفة ماورد به الشرع . لأن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له .
 والخلاصة أن ابن رشد يرى أن الحكمة هي صاحبة الشريعة بل هما كما يمثلهما بعبارة الجذابة « أختان رضيعتان » .

* * *

والواقع أن فلاسفة الإسلام جميعاً - وعلى رغم الغزالي - كانوا يشعرون شعوراً عميقاً بجلال الفلسفة وشرف مكانها من العلوم . وكانوا من ناحية أخرى يقدرون حق التقدير ما للدين من نفع اجتماعي عظيم الخطر ، ويشعرون شعوراً قوياً بأنه من أشد الأمور لزوماً للجمهور .
 فلم يكونوا يرون لذلك بين الدين والفلسفة خصومة ولا تضالاً . وإنما هما يمثلان مرحلتين من مراحل الفكر الإنساني : كلاهما له مجاله الخاص ، وكلاهما يؤدي في الحياة مهمة ليس عنها غناء . مهمة الشرع عملية تتناول تبرير أحوال الناس على ما تنتظم به أسباب معاشهم ومصالح معادهم . ومهمة الفلسفة نظرية تتعرض للبحث في حقائق الأمور وأسرار العقائد . ثم إن الشريعة تخاطب جمهور الناس وكافتهم في حين أن الفلسفة بطبيعتها لا يمكن أن تقصد بدعوتها إلا إلى الخاصة الممتازين أو أهل (الفطر الفائقة) على حد تعبير ابن رشد .
 والدين يلقي حجاباً على بعض الحقائق ، فتصبح مقبولة سائغة لدى العوام ، من أن يغفل تنبيه الخواص للفحص عن الخفى المستور . . .
 والفلسفة هي التي تهتك بنور الفكر ذلك الحجاب ، فيسفر لها وجه الحقيقة .
 وقد يجعل الفيلسوف من معرفة هذه الحقيقة عبادة لله وزلي .

وفرق بين موقف الفلسفة من الدين عند فلاسفة الإسلام ، وبين موقفها منه عند فلاسفة المسيحية في القرون الوسطى .

لم يكن للفلسفة في عهود المسيحية الوسطى سلطان مستقل عن غيرها ، ولم يكن ثمة مبرر للاشتغال بها إلا باعتبار ما تستطيع أن تؤدي إلى الكنيسة من خدمات ، وبالقدر الذي كانت تصلح به أن تتخذ سلاحا للذب عن الدين .

كان الدين حيثذ هو الغاية ولم تكن الفلسفة إزاءه إلا وسيلة . أما فلاسفة الإسلام ، فكانت نظرهم إلى الفلسفة أسمى وأرفع : - كانوا يرون لها مكانها الأول الذي لا ينازع ، وسلطانها المعبر الذي لا تستمده إلا من جلال ذاتها .

نعم إنها في يقينهم لا تناكر الدين ولا تبغضه ، غير أنها مع هذا ليست له تابعة ولا خادمة . بل إنها تبدو في الغالب تلك السيدة الآمرة التي يملؤها الشعور بشرفها وتفوقها على أترباها .

أليس في التفريق الذي رأيناه بين طائفتي الخاصة والعامة ، ما يشعرنا بهذه السيادة ؟ ألم ينص الفارابي نفسه على أن أول شرط في رئيس (المدينة الفاضلة) أن يكون بعد كبر السن حكيما ؟

لعلنا إذا قلنا بعد هذا إن موقف الفلسفة من الدين في نظرهم يشبه أن يكون موقف الاستقراطية المفكرة المستنيرة من الديموقراطية الشعبية المغمورة ، لم نكن في قولنا متجنين ولا مسرفين ؟

عثمان أمين

نشكر للأستاذ عنايته الفائلة التي تجلت في هذا البحث ، وكنا نود لو وضع رأيه عن الغزالي توضيحا أكثر من هذا ، لنستطيع الحكم على ما قرره عنه ، حكما صحيحا لا شائبة فيه ، فلعلة يتفضل ببيان ذلك وله الشكر مرة أخرى ؟

المحرر

عادة هندية



فتاة هندوسية يحتفل بها بلونها درجة الأنوثة، وترى جالسة على
عرش يمثل الطاووس، وهو رمز الحكمة عندهم

عروس بوجية
ترى في حالة تخدير أيام زفافها



(إقرأ التفصيل على الصفحة التالية)

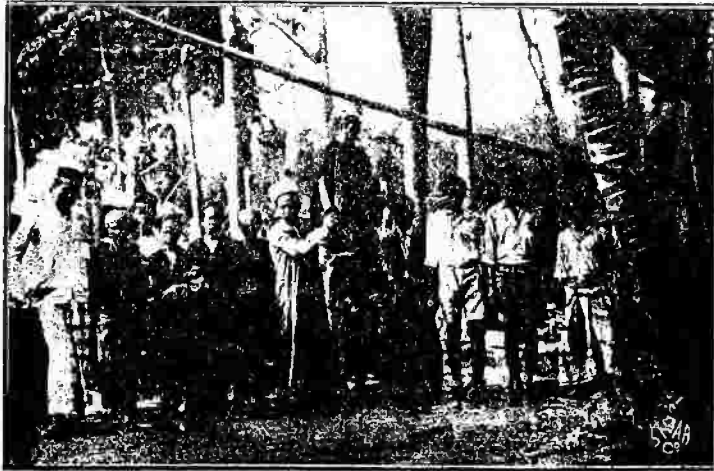
تخدير العروس أيام زفافها



قبيلة البوجي من القبائل الإسلامية النصف متحضرة ، تعيش في إحدى جزر الهند الشرقية . ومن عاداتها الموروثة . أنه عند زفاف العروس ؛ تزين أحسن زينة ، وتلبس أغنى الملابس المزركشة ، ثم تخدر بمخدر خاص ، يفقدها بعض شعورها وذلك قبل ذهابها إلى منزل زوجها بثلاثة أيام . وذلك لكي لا تقع عينها على رجل غيره . والصورة التي إلى أعلا الكلام ، تمثل العروس بين العائلة . وترى على الصفحة السابقة . صورتها منفردة

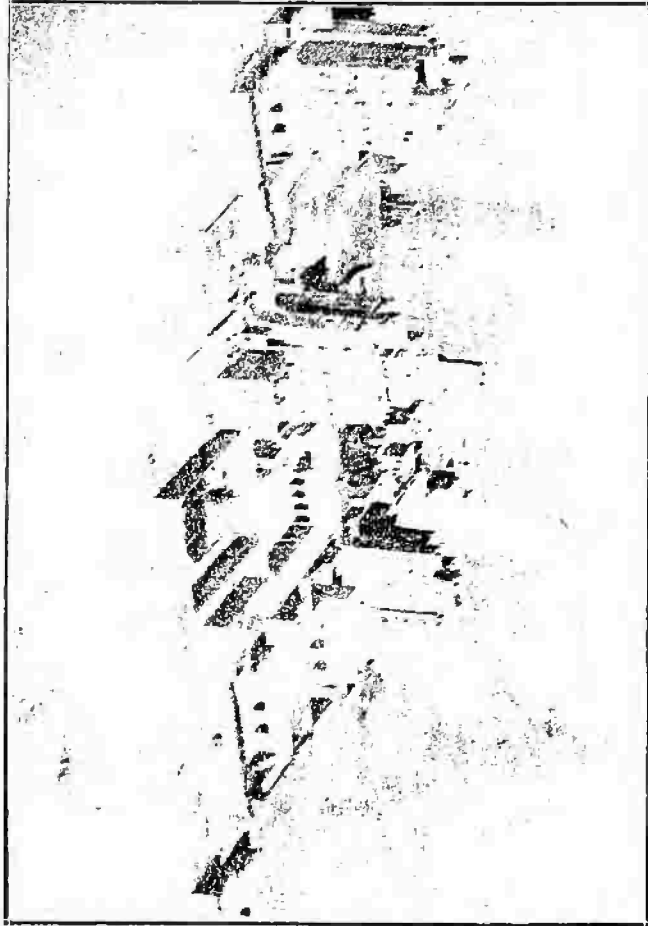


(العروس يحملها كبير العائلة ، ويجانتهما زوجها لكي لا تمس قدمها الأرض)



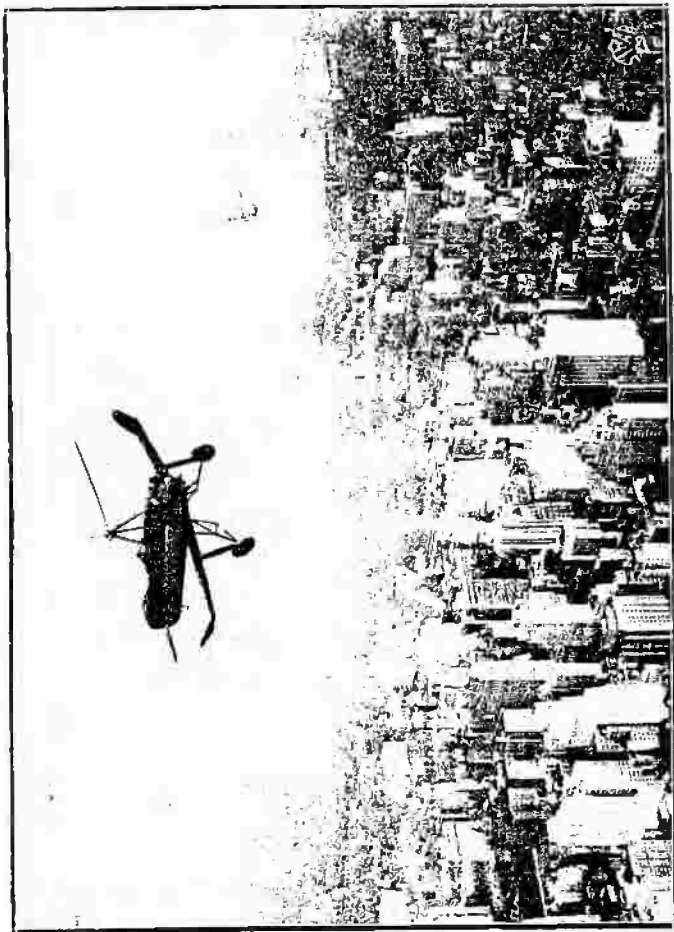
(صورة تمثل احتفال العائلة بالعرّوس)

ناطحات السحاب في الشرق



قلعة بواي حضر موت يجذب بلاد العرب و ترتفع مبانيها إلى سبع طباق مبنية بالطوب
وهي قرية الشبه بناطحات السحاب التي يرى القاري صورتها على الصفحة التالية

ناطحات السحاب في الغرب



أخذت هذه الصورة بالطيارة، وهي تمثل جزءاً من مدينة فيلادلفيا. مرتفع المباني جداً
ويلاحظ أنها قرية الشبه من المباني العربية التي ترى صورتها على الصفحة السابقة

نظرات المحرر

أخلاقنا وأخلاقهم

ليس من شك مطلقا ، فى أن الأخلاق عماد الأمم ، والحجر الأساسى فى تكوينها ، والدعامة القوية فى بنائها

بل هى العقيدة التى تربط أفراد الأمة بعضهم ببعض ، والصلة التى تجمعهم إلى عقد واحد مثله مثل البنيان المرصوص يشد بعضه بعضا

والمرء بطبعه شديد الحاجة إلى التخلق بالخلق الكريم والتعلق بأهله ، وذلك لثم له سعادته ، وتحقق له هويته . وأقل الفوائد التى يجنيها الإنسان من الخلق الكريم . احترام المجتمع له

وليس شرط الأخلاق توفر العلم ، بل شرط العلم توفر الأخلاق . وكـم من أمة نسبة المتعلمين فيها ، أقل بكثير من نسبة المتعلمين عندنا ، ولكنها بكل أسف أرقى أخلاقا منا بكثير

تلك هى الحقيقة ، نقرها وإن كانت مرة . ولخير لى أن أصف مرضى للطبيب فيحسن تشخيصه ، من أن أكتمه العلة فأروح ضحية كتمانها

وللتدليل على صحة ما تقدم ، أدعو القارىء ليدخل أى مجتمع من مجتمعاتنا المصرية ، ثم يحدثنا عما يجده ، ولن يجده إلا سوقا عامة ، اختلط فيه الحابل بالنابل ، أو (كرنفالا) لا يستطيع تمييز لونه أو تعرف أشخاصه . أو (حماما بلا ماء) لا يمكن لأنسان ما توضيح أصواته أو فهم أحاديثه . وإذن فالفائدة الأدبية بعيدة التحقيق ، وتميز النافع من الضار بعيد الحصول . ثم تمسّدق بعد هذا كله بالفاظ رنانة ، وكلمات طنانة كالمندية القديمة ، والتاريخ المجيد ، والدم الفرعونى . . الخ

مما نحفظه عن ظهر قلب لئلا نرصد رصا بمناسبة وبغير مناسبة
ثم تعال معي لندخل مجتمعا لأحدى جاليات الأمم الصغيرة ، بل لأصغر
جالية فيها . ليس لها تاريخنا القديم ، وذلك الجدول المملوء بالألفاظ المعروفة ...
فهل ترى إلا مجتمعا توفرت فيه كل مايجب أن تكون عليه المجتمعات من
هدوء ، وسكون ، تتخللها أحاديث اجتماعية مفيدة : أو مواضيع أدبية طريفة ،
أو بحوث علمية جليلة ، أو محافل سمر بريئة ، أو نكات راقية وفكاهات عالية على
أقل تقدير ؟



وتعال معي تتأمل الممارين في الطرقات . هل ترى منا إلا كهلا متصاب
يخالس النساء النظر . أو شابا يقتنى أثرا لفتيات يترسم خطاهن و ينشدهن على طول
الطريق من ألفاظ الأغراء ، وعبارات القحة ماتندى له جبين الفضيلة خجلا ؟ .
ومادري الكهل أن تلك التي يخالسها النظر قد تكون ابنته ، وماذا يدري الشاب
أن تلك الفتاة قد تكون أخته

ثم تعال تتأمل الممارين منهم . هل ترى إلا رجلا أو شابا يسرع الخطوات
وينهب الأرض نهبا ، سعيا وراء قوت يحصله أو معهد يطلبه ؟

يمثل هذه الأخلاق العالية ، تتقدم الأمم ، ويتألق نجمها حتى يشارف كبد السماء
وأما تلك الأخلاق المنحطة فهي نذير الفشل ودليل الفناء . تلك أخلاق
لا تجدها في البلاد المتوحشة ، ولا في الشعوب المتأخرة ، فضلا عن شعب مثقف
مستنير كمشعبنا المصري

هنا . وهنا فقط ، يحلولى الترجم بكلمات المدينة القديمة ، والفرعونية
العتيقة ، والمجد التالذ ... إلى آخر عبارات الجدول المعروف . لاستثير حمية
أبناء جلدتي ونفوسهم بها . فلعل كلمتي لا تذهب هباء منثورا .

بين طائر وشاعر

للاستاذ فؤاد صروف

رئيس تحرير المقتطف

هذا عنوان لرسالة كتبها الأستاذ صروف - أيام كان يطلب العلم - إلى أحد أساتذته الشعراء . يهته بزواجه في سن الخامسة والأربعين . ولم يسبق نشرها . والرسالة تدل على شاعرية قوية ، ما كنا - والحق يقال - نعهدها في الأستاذ من قبل - إذ المعروف عنه ، أنه منصرف إلى العلم بكلياته وجزئياته . وقد تكرم فأهدانا بها . ونحن نشكر له هديته ، وننشرها معجبين بأدبه الرائع ، ولتكون صلة محبة ووداد بين المعرفة والمقتطف ، الذي تنتهز هذه الفرصة ، لشيء بذكره المحرر

يا طائر الروض . حي عنى شاعرا سها منه الخيال وعذب الأنشاد . حيه
فإن بينكما شها ساميا جميلا ...

كلا كما منشد . في إنشاده يتحاذى الطرب والالام ، ويتقابل النور بالظلام
وأى قيمة للحياة لو انفرد فيها الطرب عن الالام ؟

بل كيف ندرك الوجود لولا اختلاف مواقع الظل والنور ..

ما أشجاك منشدا في الروض سحرا

وما أروع المعاني تنقاد صاغرة بين أنامله

ألا جيش جيوشك يا أميرالروض من بلايل وشحارير ، واجمع معداتك
من ألحان وأنغام ، وضم تحت لوائك جنود الطبيعة بأسرها من غصن مياس

وجداول سلسال، وزهر فواح العبير .
 ضم تحت لوائك يا ابن الطبيعة هذه الجنود وقفوا أمام الشاعر وقفة
 التخشع والاحترام، وحيوه تحية الأكرام والأجلال؛ فهو مثلكم من الطبيعة
 منشأه، وإليها مرجعه، وبها حياته، ومنها مستمد سفره ووجهه . بل هو يسمو
 عليكم بما يساوره من توق عميق لفهم معنى الحياة وإدراك غاية الوجود
 ياطر الروض حيه ...

حتى عني شاعرا سما منه الخيال وعذب الأنشاد
 حيه فأن بينكما شبا ساميا جميلا
 فالحياة قصيدة أجاد نظم أبياتها . ويخطئ من يقول إن الظهور مقياس
 النجاح، والشهرة ميزان الأجاد
 إن من عظيم الأعمال ما يبقى مهملا في زوايا النسيان، تنسج عليه عناكب
 الإهمال نسيجاً يواريه عن الأبصار، وتسحب عليه الأيام والسنون ذيل العفا.
 ولكن العظمة هناك بكل ما فيها من جوهر وحقيقة . هي هناك والأبدية
 تعلم ذلك وكفى ...



لقد نظم قصيدة الحياة أعمالاً تخفي حقيقتها عن عين الناظر إلى ظواهر
 الأمور، المأخوذ بيهرجتها وزخرفها
 نعم نظمها أعمالاً تسبح في سكون الليل بألف لسان، وتنطق في معرض
 الحوادث بآيات الحمد والثناء
 وهاهو قد بلغ إلى بيت القصيدة في الحياة .
 أجل ... أجل ... ها هو قد بلغ إلى بيت القصيدة فنظمه، بعد أن وقف
 أمامه مدة غير قصيرة خاشعاً متبهاً
 يريد الأجادة في النظم والأبداع في الاختيار ...
 يريد أن يتخير المعنى النبيل واللفظ السري ...

هاهو قد وفق ... إلى مايريد

ما أروع المعنى !!!

ما أفخم المبنى !!!

إنه لبيت القصيد العظيم

هنته بالقران

هنته ياطائر الروض .

إن بينكما شها ساميا جميلا

كلا كما منشد

فما أشجى نغماتك في الروض سحرا

وما أروع المعاني والقوافي تنقاد صاغرة بين أنامله

فؤاد صروف

ثمن الحب

مختارة من شعر العقاد

ومنية القلب من صفو ومن جذل	شقيقة الحب من أسلافه الأول
به ولا تنكرى تسيحة الغزل	لا تظلى الحب حقا أنت صائلة
من الخلود ؟ فما أغلاه من بدل	ما الحب ؟ ما الحب إلا أنه بدل
نالوه من أبد باق ومن أزل	تزهى به حين يزهى الخالدون بما
قالوا لنا حسبكم بالحب من أمل	داموا ، فلما تقاضينا الدوام لنا
ولا نحب ؟ لهذا أبين الفشل	أنشترى الحب بالدنيا وما رحبت
حظ السماء - أطل وأهبطلى وصلى	يانظرة منك عن قرب أبيع بها
إن الليالي لا تمشي علي مهل	صلى ولا تمهل بخلا ولا سرفا

ياقلب

للشاعر المصرى محمود أبو الوفا

يا ليل هل ترثى لواجد يا ليل أنت عليه شاهد؟
أشكو الوسائد للبراقيد والمراقيد للوسائد
وجد أقض مضاجعى هيات ينجومنه واجد

يبنى وبين هواى أبعاد تضل بها المراصد
بئس التقاليد التى تزع القلوب عن المقاصد
هل ذل من أنف الشكيم سوى الشكائم والمقاود

عيسى أخوك محمد وكلا كما بان وشائد
من فك بين عرى القلوب وشد من عقد العقائد
ومن الذى ترك القوارح لعبة بيد الولائد

أقول آدم لم يكن أم كان آدم غير واحد
رفقا بأفئدة تحرق فى الحجامر للمعابد

وارحمناه لعاشق أضلاعه باتت سفافد
فكوا عن الحر القيود وحسبه الزمن المعاند
يكفى على الأحرار ما يلقون فى أسر الخرائد

أصبحت من خوف القيود وأخاف وسوسة القلائد

ياقلب ويحك فأتد يكفى الذى بك من مواجد
من ذاتناغى فى دجى الليل البهيم ومن تناشد
أتظن أنك بالهديل تجوز أقطار الفراقد
لغة البلايل أين تذ هب بين هدهدة الهداهد

لهفى لقلب لم يصخ لهفى على ساع لقاءد
لما سمعت أزيزه أز الحديد على المبارد
ونظرتة فعرقته بين القنائص والطرائد
ناديته ماذا ترى ياقلب ماذا أنت واجد
فرنا إلى ولم يفه حال الغوى حيال راشد

اليوم أين عداته يرثونه فيما يكابد
يجتاش بين أضالعي كالفرخ يخفق فى المصائد
صياد غزلان الكثيب اليوم عبرة كل صائد
مازال يجلد للهوى حتى هوى تحت الجلامد

ياقلب حسبي إن أمت فى الحب أنك أنت خالد
فى الخلد من ربح الفتوح ومن قضى عذر المجاهد
يهيك أن رمت الجمال فشمتم مالم يلق رائد

والله فى ورد الهوى ما امتحت يوما سور وارد
تثني عليك الواردات وإن شكت منك الموارد

اعرف نفسك بنفسك

بحث فلسفى صوفى

بقلم

الأستاذ عبد الواحد يحيى

كثيرا ما يقال هذه الجملة — اعرف نفسك بنفسك — وكثيرا ما يخفى القصد منها . وبين هذا القول ، وذلك الغموض . يعترضنا سؤالان : أولهما ماهو المصدر الأصلي للجملة ؟ وثانيهما ما مدلولها الحقيقى وما ترمى إليه من أغراض ؟ قد يخيل لبعض القراء ، عند أول وهلة . أن السؤالين مفترقان . لارابطة ولاصلة تجمعهما . وعند تدقيق النظر ، والبحث والتحيص ، سيثبت لهؤلاء أن السؤالين مرتبطان ببعضهما كل الارتباط

* *

إذا سألنا أغلب من درسوا الفلسفة اليونانية ، عن الإنسان الذى فاه بهذه الحكمة . لمتردد فريق منهم فى الأجابة بأن القائل سقراط . بينما يقول فريق ثان أفلاطون . ويقرر فريق ثالث بأنه فيثاغورس .

من هذا التضارب فى رأى ، وذلك التباين فى القول . نستطيع الحكم بأن الجملة لم تقرأ فى كتاب لأحدهم ، باعتباره مصدرها

وقديبدو حكما هذا جارئا ، ولكنه فى الحق حكم صحيح ، ثبت للقارىء صحته عندما يعلم أن اثنين من أولئك الفلاسفة — هما فيثاغورس ، وسقراط — لم يخلفا شيئا مكتوبا أو منقوشا

وأما ثالثهم أفلاطون ، فإن أحدا — بالغما مبلغ من العلم بالفلسفة — لا يستطيع أن يميز على التحديد ، ماقاله أفلاطون نفسه ، أو ماقاله بلسان أستاذه سقراط الذى لم نعرف أكثر آرائه ، إلا بواسطة أفلاطون ، وقديكون أفلاطون

استقى من مدرسة فيثاغورس بعض التعاليم التي بثها في محاوراته ، كما استقى من سقراط نفسه

من هذا نرى . أن من الصعب جدا ، أن تحدد نسبة بعض العبارات إلى أحد الثلاثة . فما ينسب لأفلاطون قد ينسب لسقراط ، بينما يكون سابقا لوقت الاثنين معا . فيكون صدر من المدرسة الفيثاغورية ، إن لم يكن من فيثاغورس نفسه



(صورة أفلاطون . لمناسبة ذكر اسمه في المقال)

والحق . هو أن المصدر الحقيقي لهذه الجملة ، لأقدم تاريخا من أولئك الفلاسفة أنفسهم ، بل لأكثر قدما من تاريخ الفلاسفة نفسها ، وأكثر من هذا وذاك ، أنها أسمى مجالا من مجال الفلسفة ذاتها

هذه العبارة . وجدت محفورة على باب هيكل أبولون في دلي . واتخذها

سقراط ، كما اتخذها غيره قاعدة لتعاليمهم ، وإن اختلفت التعاليم ، وتباينت المقاصد - ومن المحتمل جدا أن فيثاغورس استعملها قبل سقراط نفسه والذى نفهمه من هذا . هو أن أولئك الفلاسفة حاولوا أن يظهروا لنا ، بل أظهروا لنا بالفعل . أن تعاليمهم لم تكن من تلقاء أنفسهم فحسب ، بل كانت من مصدر أسمى ، ومنزلة أرفع ، يتناسبان مع مصدر الوحى ومنزلة الألطام لهذا نراهم مختلفين جد الاختلاف عن الفلاسفة الحديثين ، الذين يحاولون جهد طاقتهم أن يقولوا شيئا جديدا يدعون أنه من بنات أفكارهم الخاصة ، وأن ما يدونه من آراء وقف عليهم . كأن الحقيقة ملك لشخص معين .

والآن لماذا كان يود الفلاسفة القدماء ، أن يربطوا تعاليمهم بهذه العبارة ، أو عبارات تماثلها ؟ ولماذا يمكننا أن نقول إن هذه العبارة أسمى منزلة من الفلسفة نفسها ؟

للجواب على الفقرة الأخيرة من هذا السؤال ، نقول إنه منحصر فى المعنى الأسمى المقصود من اشتقاق كلمة الفلسفة نفسها ، التى قيل إن أول من استعملها فيثاغورس

فكلمة (فيلوسوفيا) تعنى تماما حب (سوفيا) أى (الحكمة) والميل للحصول عليها

وقد استعملت لتدل دائما على كل تحضير للحصول على الحكمة ، وعلى الأخص لمحبا ، حيث تساعد على أن يصير (سوفوس) أى (حكيما) وبما أن الوسيلة لا تؤخذ على أنها غاية ، كذلك حب الحكمة ليس هو الحكمة بذاتها

وبما أن الحكمة ، هى بذاتها المعرفة الحقيقية الباطنة . فإنه يمكن القول بأن المعرفة الفلسفية ، إن هى إلا المعرفة السطحية الخارجية ، فليس لها من قيمة فى نفسها ، أو من نفسها . وماهى إلا درجة أولية ، فى الطريق المؤدية للمعرفة السامية الحققة ، التى هى الحكمة

معروف لمن درسوا الفلسفة ، أن معظم الفلاسفة القدماء ، كان لهم في مدارسهم ، نوعان من التعليم : خارجي ، وداخلي : أما الأول ، فهو ما كان مكتوباً وأما الثاني ، فيصعب علينا معرفة طبيعته على التحقيق . وذلك لقصره على القليلين أولاً ، ولصبغته السرية ثانياً ، وهذه الصبغة ، وتلك القلة ، دليلان على وجود غرض أسمى من تعلم الفلسفة الذي لا يستطيع تأديته . على أننا نعتقد ، أن لهذا التعليم السري ، أقوى صلة مباشرة بالحكمة ذاتها ، والذي ما كان عماده في حال ما ، العقل أو الاستدلال المنطقي كالفلسفة التي تعتمد عليهما ، وبهما سميت المعرفة العقلية

ومسلم من الفلاسفة القدماء ، بأن المعرفة العقلية — أى الفلسفة — ليست هي المعرفة العليا الحقة ، وبعبارة أخرى ليست هي الحكمة ذاتها لكن . هل يمكن أن تعلم الحكمة كما تعلم المعرفة الخارجية بواسطة التلقين أو الكتب ؟ هذا مستحيل كل الاستحالة ، وسترى سبب ذلك ، والذي يمكننا أن نقرره ، هو أن التحضير الفلسفي ، ما كان ليكفي مطلقاً . لأنه لا يختص إلا بقوى محدودة ، هي القوى العاقلة ، بينما يستمد التحضير للحكمة من الكون الكلي للإنسان نفسه .

وإذن فهناك تحضير آخر للحكمة ، أسمى منزلة من التحضير الفلسفي ، لا يلجأ فيه إلى العقل ، بل إلى النفس والروح ، وهذا ما نستطيع تسميته بالتحضير الباطني ، الذي عرف أنه من الصفات التي امتاز بها تلاميذ الفيثاغورية الممتازون ، والذي ظل حتى مدرسة أفلاطون ، بل حتى وصل إلى الأفلاطونية الحديثة بمدرسة الاسكندرية التي ظهر فيها ذلك التحضير ، بوضوح تام ، كما ظهر جلياً في نفس الوقت عند أتباع الفيثاغورية الحديثة

لمثل هذا التحضير الباطني ، تستعمل الكلمات على أنها صور رمزية لأحدى الوسائل التي تساعد على تركيز التأمل الباطني ، وبهذا التأمل ، ينقل الإنسان إلى بعض حالات نفسية وروحية يمكنه فيها أن يسمو فوق درجة المعرفة العقلية

التي وصل إليها سابقا. بما وأن هذه فوق مستوى العقل فأنها منطقيا فوق مستوى الفلسفة. إذ يستحيل علينا أن نعطي للفلسفة غير المعنى المعروف عنها، فهي تستعمل دائما لتعيين ما يبحثه العقل حسب. ومن الغرابة أن الفلاسفة الحديثين، يقيدون الفلسفة بهذا القيد، كأنها كاملة في نفسها وغاب عن أذهانهم، أن فوق فلسفتهم، ماهو أسمى بكثير.

وقد عرف هذا النوع من التعليم الباطني في الأقطار الشرقية، قبل أن يعرف في اليونان حيث كان معروفا عند الآخرين، باسم (ميسيريا) أى (المساتير) (١) وقد أدخل أولئك الفلاسفة — وخاصة فيثاغورس — تلك الميسيريات في تعاليمهم لأنها كانت بالنسبة إليهم نوعا جديدا، ومعنى حديثا لآراء القديمة. فقد كان يوجد أنواع كثيرة من تلك الميسيريات لها مصادر مختلفة. لكن التي ألهمها فيثاغورس، وأفلاطون، كان لها صلة بطقوس معبد أبولون

وقد احتفظت الميسيريات دائما بصيغة سرية، ولذلك صار اسمها مرادفا للسر، فالمعنى الأصلي لتلك الكلمة، هو الصمت التام، فكل الأشياء التي تتصل بالغيبيات غير قابلة للتفسير بواسطة الكلمات، وبهذا لم يكن لها من طريق التعليم غير طريقة الصمت. وجاء الفلاسفة الحديثون فلم يعرف أكثرهم تلك الطريقة فهربوا خلف استعمال الكلمات التي ندعوها من طريقة التعليم الخارجي ويمكننا أن نؤكد، أن هذا التعليم الصامت، كانت طريقته الأشكال والرموز ووسائل أخرى. يراد منها تهيئة الإنسان للحالات باطنية، يمكنه فيها — بعد خطوات متتابعة — أن يصل أخيرا إلى المعرفة الحقيقية، وهذا هو الغرض الأساسى العام من (الميسيريات) وما يشابهها غرضا.

(١) لم نعث على ترجمة دقيقة تؤدي المقصود من كلمة (ميسيريا) وقد راجعنا الأستاذ فريد بك وجدى في هذا، فغير عنها بكلمة (المساتير) وكنا نرى أنها قد تكون الغيبيات أو الرموز أو الخفية، فلعل أحد حضرات القراء يجد لها معنى أدق؟

المحرر

أما (الميستيريات) التي تتصل بطقوس أبولون ، أو بأبولون نفسه ، فإنه ينبغي أن يُشرح للقراء بأنه كان معروفاً في عرفهم ، بأنه رب الشمس والنور . والمعنى الروحي للنور . هو المبدأ المشرق ، الذي منه تنبعث كل المعارف من علوم وفنون .



(أبولون لمناسبة ذكر اسمه في المقال)

وقد قيل إن الطقوس الدينية لمعبد أبولون ، جاءت من الأقطار الشمالية . وقد ثبت هذا في الكتب المقدسة كالفيديا الهندي والآفشتا الفارسي . وقد كانت دلتني معروفة بأنها المركز الروحي العام . وقد وجد في هيكلها ، حجر يسمى (أومفالوس) يرمز إليه بأنه مركز العالم

يظهر أن تاريخ فيثاغورس ، بل واسم فيثاغورس نفسه ، له صلة وثيقة بالطقوس الدينية لأبولون . فقد كان يسمى بيثيوس . وقد قيل إن بيثو هو الاسم القديم لدلفي ، وإن المرأة التي كانت تتلقى وحى الإله ، في الهيكل كانت تسمى بيثيا . ومعنى (بيثيا جوراس) هو دليل (بيثيا) ودليل بيثيا هو نفسه ، وقيل أيضا أن البيثيا هي التي أعلنت أن سقراط أحكم الرجال . ومن هنا نستطيع أن نفترض أن لسقراط . إتصالا خاصا بالمركز الروحي في دلفي كفيثاغورس أيضا .

أضف إلى ذلك ، أن كل العلوم ، كانت تنسب إلى أبولون ، وبخاصة الهندسة والطب ، وقد كان أبولون يمثل نفسه كأنه يمارس هذه العلوم عامة ، والهندسة منها بوجه أخص ، وفي مدرسة فيثاغورس كانت الهندسة ، وسائر فروع الرياضيات ، هي الجزء العام في التحضير للمعرفة العليا ، وعند هذه المعرفة ، لم تكن تلك العلوم لتترك جانبا بل كانت تستعمل كرموز للحقيقة الروحية . وقد كانت الهندسة لدى أفلاطون تحضيرا ضروريا لكل فرع من فروع تعاليمه ، حتى صح عنه قوله ، الذي حفره على مدخل مدرسته : (لا يدخله إلا عالم بالهندسة) ، ويظهر معنى هذه الكلمات جليا إذا قورنت بقول آخر لأفلاطون نفسه (الآله يصنع الهندسة دائما) وهنا يجب أن نذكر أن المقصود بالآله المهندس ، هو أبولون

وإذن فيجب ألا ندهش إذا ما رأينا الفلاسفة القدماء استعملوا تلك الجملة المحفورة على مدخل هيكل دلفي . بعد أن عرفنا صلة الاتصال بينهم ، وبين طقوس أبولون ورموزه

من كل ما تقدم يمكننا أن ندرك بسهولة ما ، الغرض الحقيقي لهذه الجملة ويمكننا أيضا أن ندرك أخطاء الفلاسفة الحديثين عنها ، وأساس خطأهم هذا ناشئ من أنهم أخذوا الجملة ، باعتبارها صادرة عن أحد الفلاسفة الذي كثيرا ما ينسبون إليه فكرة كفكرتهم ، مع أن الحقيقة هي أن الفكرة القديمة كثيرا ما تختلف عن الفكرة الحديثة كل الاختلاف ، ولذا يعطى كثير منهم لهذه الجملة

معنى سيكولوجي (علم النفس) مع أن علم النفس هو دراسة الظواهر العقلية فحسب . أى دراسة الوصف الخارجى - لا الذاتى - للكائن الحى ويرى بعض الحديثين ، وخصوصا الذين ينسبونهم إلى سقراط ، أنها وضعت لغرض خلقى ، هو البحث عن قانون داخلى ، لاستعماله فى الحياة العملية ، وكل هذه التفسيرات الظاهرة ، ولو أنها أحيانا لا تكون باطلة ، فأنها على الأقل لا تكفى تماما ولا تحقق الصفة المقدسة التى كانت لهذه الجملة فى أول الأمر ، وهى التى لها معنى أعمق كثيرا من هذه التفسيرات الظاهرة .

فأنها أولا تفيد أن التعليم الخارجى لا يمكن أن ينتج معرفة حقيقية ، وهى التى يجدها الإنسان فى نفسه فقط ، ولا يخفى أن أى معرفة لا يمكن الحصول عليها إلا بالأدراك الشخصى ، وبدونه لا يكون للتعليم نتيجة فعالة ، والتعليم الذى لا يوقظ فىمن يتلقاه ما يناسبه لا يمكن أن يعطى أى معرفة بالمرّة ، ولذلك قال أفلاطون إن كل ما يتعلّمه الإنسان هو فى قرارة نفسه ، وأن تجاربه وما يحيط به من الخارج ما هى إلا أسباب تساعد ليصير عالما بما فى نفسه ، وهذا التيقظ الهام يسمى (أنامنيسيس) أى التذكر ، فإذا كان هذا صحيحا لأى معرفة ، فالأحرى أن يكون أصح بالنسبة للمعرفة الأسمى والأعمق ، فإذا أراد شخص الحصول على تلك المعرفة ؛ فأن كل الوسائل الخارجية الحسية تصبح شيئا فشيئا غير كافية ، حتى أنها أخيرا تكون عديمة الفائدة . ومع أنها ربما تساعد على الاقتراب عدة درجات نحو الحكمة ، فإنه لا يمكن بواسطتها الحصول عليها تماما ، ومن الشائع فى الهند أن (الجورو) الحقيقى أى (الشيخ) هو فى نفس الإنسان ، ولا ينبغى البحث عنه فى العالم الخارجى . أما المساعدة الخارجية فربما تكون ضرورية فى البداية ، وذلك لتجهيزه ليصير قادرا على أن يجد فى نفسه بنفسه ما لا يمكنه أن يجده فى العالم الخارجى ، وخصوصا ما كان فوق مستوى المعرفة العقلية ، فإنه يحتاج لتحقيق حالات تتعمق دائما فى باطن الكائن ، وتوجه نحو المركز المرموز إليه بأنه القلب ، وعنده ينبغى انتقال إحساس

الإنسان ، حتى يصير قادرا على الحصول على المعرفة الحقيقية . وهذه الحالات التي كانت تتحقق في (الغيبيات القديمة) كانت درجات في الانتقال من العقل إلى القلب ، وقد كان في هيكل دلفي حجر يسمى (الأومفالوس) يمثل به مركز الكائن الانساني ، وفي نفس الوقت مركز العالم ، وذلك للصلة التي بين (العالم الأكبر) و (العالم الأصغر) أي الانسان ، ولذا تجد أن كل ما في أحدهما يتصل اتصالا تاما بما في الآخر . قال ابن سينا : —

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
وما يدعوا إلى التسلية حقا ، هذا الاعتقاد الذي سار قديما بأن (الأومفالوس) كان قد سقط من السماء ، وإنك لتدرك شدة اعتقاد اليونان القدماء في هذا الحجر إذا علمت أنه يقرب من اعتقادنا في الحجر الأسود الذي في الكعبة المقدسة . . .

وهذا التشابه الذي بين العالم الأكبر ، والعالم الأصغر (الإنسان) هو الذي يجعل من أحدهما صورة للآخر ، وهذا الاتصال بين العناصر التي يحتويها كلاهما ، يبين لنا أن الإنسان يجب أن يعرف نفسه أولا ، لكي يمكنه أن يعرف كل ما حوله ، لأنه يمكنه أن يجد كل شيء في نفسه . ولهذا السبب تجد أن لبعض العلوم - وخاصة تلك التي كانت جزءا من المعرفة القديمة والتي أصبحت غير معروفة تقريبا عند الحديثين - معنيين : ففي الشهود العينية تشير هذه العلوم إلى « العالم الأكبر فتعتبر صحيحة من هذه الوجهة . كما يوجد لها في نفس الوقت معنى أكثر عمقا ، وهو ما يشير إلى الإنسان ، وإلى الطريق الباطني الذي بواسطته يمكنه إدراك المعرفة الحقيقية في نفسه ، أي إدراك كائنه الخاص وقد قال أرسطو في ذلك « الكائن هو كل من يعرف ماهيته ، ولذلك حيث توجد المعرفة الحقيقية — لاظواهرها ولا شبحها — تندمج المعرفة والكون ويصيران شيئا واحدا : —

والشيخ فسرهُ أفلاطون ، بأنه كل معرفة بالحس ، حتى المعرفة العقلية ،

فأنها ولو أنها تتكون من درجة أعلا ، فإن مصدرها الأول ، هو الحس . والمعرفة الحقيقية ، هي فوق مستوى العقل ، ولذا نرى أن تحقيقها ، أو تحقيق ماهية الكائن نفسه ، يشابه أو يطابق تكوين العالم كما ذكرنا سابقا ، ولذا فإن بعض العلوم تحت ظواهر هذا التكوين قد استعملت (الغيبات) القديمة على هذا المعنى الثنائى ، كما وجد أيضا فى كل أنواع التعاليم التى كانت ترمى إلى نفس الغرض بين الأمم الشرقية . وفى الغرب يظهر ، أن مثل هذه التعاليم وجدت فى زمن



(صورة سقراط . مناسبة ذكر اسمه فى المقال)

القرون الوسطى ، ولو أنها فقدت الآن تماما ، لدرجة أن غالبية الغربيين ليس عندهم أقل فكرة عن طبيعتها ، أو وجودها ، أو مكانها .

مما سبق ترى أن المعرفة الحقيقية ، ليس طريقها العقل بل طريقها النفس والروح . ويمكن أن نضيف إليهما ، الكائن الكلى ، لأنها ماهى إلا الإدراك الكلى لهذا الكائن فى كل حالاته ، وهذا هو نهاية وكمال المعرفة ، والحصول على الحكمة السامية . وحقيقة كل ما يختص بالنفس ، وما يختص بالروح أيضا يظهر فقط الدرجات فى هذه الطريق إلى الجوهر الباطنى ، أى النفس الحقيقية ،

وهذا يمكن إدراكه فقط عند ما يصل السكائن إلى مركزه الخاص ، متحدة كل أجزاء
فؤاده ومركزه في نقطة واحدة . عندها تظهر له كل الأشياء تحتويها جميعها
تلك النقطة ، كما كانت في مبدأها الأول ؛ وهذا يمكنه أن يعرف كل الأشياء ،
كما هي في نفسه ، ومن نفسه ، كما يظهر الوجود الكلي الأوحد في وحدة جوهر
الفرد : —

ومن السهل أن نرى الفرق بين هذا ، وبين علم النفس في المعنى الحديث
فإن الأول يسمو على الثاني بمعرفة للنفس أصح وأعمق ، والثاني ماهر بإخطوة
أولى في الطريق . ويجب أن نلاحظ أن المعنى لا ينبغي أن يقصر على النفس ،
لأن كلمة « النفس » مستعملة في اللغة العربية بما يطابقها في اليونانية « نسيخي »
لا يظهر معناها إلا في الجملة الأصلية التي تبحثها . ففي مثل هذه الحالة لا يمكن أن
يسرى لهذه الكلمة المعنى الدارج ، بل لابد أن يكون لها معنى أكثر سموا
يجعلها مطابقة لكلمة « ذات » ويجعلها تطابق النفس الحقيقية . ولدينا ما ثبت
هذا المعنى في الحديث الشريف ، الذي يطابق الجملة اليونانية ، هو « من عرف
نفسه فقد عرف ربه . »

فعند ما يعرف الإنسان نفسه ، ويعرفها حقاً في جوهره الباطني ، أي في
مركز كائنه عندئذ يعوف ربه . فإذا عرف ربه ، عرف كل الأشياء التي منه
تصدر وإليه ترجع . يعرف كل الأشياء في الوحدة السامية للبدا الألهي . الذي
لا شيء خارج عنه على الإطلاق وهذا معنى ما قاله سيدي محي الدين بن عربي
من أن لا شيء يخلو من اللا محدود ؟

عبدالواحد محي

في الأدب العربي

مهيار الديلمي
دراسة تحليلية لحياته وشعره
للأستاذ حامد عبد القادر
المدرس بالمدرسة الخديوية الثانوية

إن الموضوع الذي يحاول الأستاذ بحثه ، لمن أجل المواضيع التي تحتاج إلى توفر في المادة العلمية والأدبية لباحثه ، وذلك بمنزلة مهيار وأثره في الأدب العربي ، والذي أبى عليه الدهر إلا قبره ، حتى جاءت دار الكتب فردت له بعض حقه على الأدب بنشر ديوانه .

وها هو الأستاذ حامد يرد له كل حقه ، بدراسته له دراسة تفصيلية جامعة وفق فيها كل التوفيق . ولا غرابة في هذا ، فالأستاذ حامد ، من أولئك القليلين جداً ، الذين نالوا من العلم والأدب أو فر نصيب ، فهو قد تخرج في كلية اكستر وجامعة لندن ، وحصل على عدة دبلومات عالية في الترية واللغات السامية والفارسية .

وبما أن وزارة المعارف قررت في مناهج هذا العام دراسة مهيار ، على طلبة (البكالوريا) قسم أدبي ، فقد رأينا أن ننشر في هذا الجزء ، قسماً عظيماً من هذا البحث ، واعددين بنشر بقيته — إن أمكن — في جزء يونيه ، ليطالع حضرات الطلبة عليه قبل امتحانهم المقبل . وفقنا الله وإياهم إلى النجاح ؟

المحرر

مقدمة

(١) مختصر تاريخ الدولة البويهية

حوالى سنة ٣٢٠ أى السنة التى بوع فيها القاهر بالله الخليفة العباسى التاسع عشر (٣٢٠ - ٣٢٢) ظهر أمر أسرة من أسرات الفرس . تلك هى أسرة بنربويه التى يقول عنها صاحب كتاب الفخرى (إنها دوخت الأمم وأذلت العالم واستولت على الخلافة ودارها (لأول مرة فى تاريخ الخلافة) فعزلت الخلفاء وولتهم (وسمت أعين بعضهم) واستوزرت الوزراء وصرقتهم ، وانقادت



(الأستاذ حامد عبد القادر)

لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العراق وأطاعهم رجال الدولة بالاتفاق ، هذا بعد الضيق والفقر والذل والمسكنة ومعاناة الحاجة والاضطهاد فأن جدهم أبا شجاع بويه وأباه وجده كانوا كأحد الرعية الفقراء ببلاد الديلم (مقاطعة فى الجنوب الغربى من بحر طبرستان أو بحر الخزر) وكان بويه (عميد هذه الأسرة) صيادا

للسمك وقد كان معز الدولة بعد تملكه البلاد يعترف بنعمة الله تعالى ويقول
كنت أحتطب الحطب على رأسى

كان لبويه هذا ثلاثة أولاد ، علي ، واحمد ، وحسن انتظموا في سلك
الجندية ومازالوا يشتغلون في خدمة الملوك من السامانيين ثم الزياريين حتى تولى
على أكبرهم إمارة إقليم الكرج من قبل مرداويج الزيارى صاحب جرجان (٣١٦ -
٣٢٣) ثم جد في توسيع إمارته جنوبا حتى أوصلها الى أصفهان ثم استولى على
أرجان ثم نوبندجان (نابند) على الخليج الفارسي

وأما حسن فإنه طرد حامية العرب من كاز روم وأخذ يحوب البلاد حتى
التقى بأخيه على وساعده على فتح الأقاليم الشرقية ثم اتصل بهما اخوهم أحمد
فاستولوا على شيراز سنة ٣٢٢ فاضطر الراضى بالله الذى تولى الخلافة في هذه
السنة (الخليفة العشرون ٣٢٢ - ٣٢٩) للاعتراف بولاية هؤلاء الأخوة
وجعلهم من أمراء دولته

وما زال نجمهم في الصمود حتى سقطت بغداد في يد أحمد سنة ٣٣٤ في عهد
الخليفة العباسى الثانى والعشرين عبد الله المستكفى بالله (٣٢٣ - ٣٣٤) الذى لم
تدم خلافته طويلا بعد خلافة المتقى بالله (٣٢٩ - ٣٣٣) فأرغم المستكفى على
الخضوع لهم وتلقبهم بألقاب الشرف الثلاثة المشهورة فلقب أحمد معز الدولة
وعليا عماد الدولة وحسنا ركن الدولة وقد اقتسم هؤلاء وأحفادهم الامبراطورية
الاسلامية في عهد المستكفى والمطيع (٣٣٤ - ٣٦٣) والطائع (٣٦٣ - ٣٨١)
والقادر (٣٨١ - ٤٢٢) والقائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧) الذى انقرضت
دولتهم في عهده

وبعد هذا العصر الذى يبلغ نحو قرن وربع من عصور المحن الاسلامية التى
لا يذكرها الانسان إلا ويذكر معها سفك الدماء والشغب والاضطراب وهو بحق
عصر العصية الفارسية وعصر النفوذ العلوى

غلب فيه الخلفاء من بني العباس على أمرهم ولم يبق لهم من الخلافة إلا اسمها

وقد كان بنو بويه يشمخون بأنوفهم ويعتزون بأنفسهم ويفخرون بتقديم حضارتهم وانتسابهم إلى القدماء من أكاسرة فارس . مقاليد الأمور في أيديهم . وشؤون الخلافة في حوزتهم يتحینون الفرص للأيقاع بالعرب وعصبيتهم ولا يتورعون عن معاقبة الخلفاء والخط من كرامتهم تارة بالقتل وأخرى بالعزل وسمل الأعين على مرآى من العلويين الذين كانوا يودون لو ينتقل ملك بنى العباس إليهم فهم لذلك يكيدون للخلافة كيداً ويوقعون بالخلفاء سرا ويسعون بالدعاية إلى قلب الحكومة ، والفرس وغيرهم من طوائف الشيعة من ورائهم ينصرونهم كلما وجدوا لذلك سبيلاً

فلا غرو إذا كان الجو دائماً ملبداً بالسحب القاتمة في ذلك العصر ، ولا عجب إذا أخذ نجم العرب في الأفول وأصبح نفوذ الفرس فوق كل نفوذ وصار للنيروز والمهرجان والسوق منزلة العيدين ووصل التشيع لعلی وآله إلى حد لا عهد له من قبل فأقيمت المآتم ومثلث روايات التعازى في المحرم من كل سنة وقد كان مما لا بد منه أن يؤدي كل هذا إلى فتن وقلاقل وثورات ومطامع داخل الأمبراطورية وخارجها فأنت تسمع أن فريقاً من غلاة الشيعة الأسماعيليين يسمون القرامطة سكان نواحي البحرين يعيشون في الأرض فساداً ويوالون الأغاثة على الكوفة وما جاورها من البلدان

وتسمع أيضاً أن جنود خلفاء الفاطميين وهم أيضاً شيعة إسماعيليون ينقصون البلاد من أطرافها وينقصون على الشام من جنوبها فيفصلونها عن جسم الدولة العباسية المعتل بينما ترى أن المراداسيين أصحاب حلب في (٤١٤ - ٤٧٢) والعقيليين ولاية الموصل (٣٨٦ - ٤٨٩) والمردانيين الأكراد ولاية ديار بكر (٣٨٠ - ٣٨٩) يقطعون أوصال الدولة ويقسمون شمال الشام بينهم وبين الفاطميين على مسمع من خليفة بغداد ورغم أنف أمرائها

و بينما كانت هذه الشرور تنخر في عظام الدولة شمالاً وغرباً إذ كانت دولة فتية تنشأ ويعلو شأنها وتؤسس ملكها وتنشر رايتها فوق الربوع الشرقية وتستولي

على الإمبراطوية الإسلامية جزءاً جزءاً وقطعة بعد أخرى ، تلك هي الدولة الغزنوية التي بدأت صغيرة في بلاد أفغانستان ثم امتد سلطانها إلى خراسان وغلبت الدولة السامانية على أمرها ثم قامت الدولة السلجوقية وعلا شأنها واستولت على العراق والشام فاتصلت تخومها بتخوم الدولة الفاطمية وجمعت الإمبراطورية الإسلامية في آسيا من ركن إلى ركن تحت راية واحدة وذلك حين استولى طغرل بك على بغداد سنة ٤٤٧ وندى به سلطاناً عليها

(٢) نشأة مهيار

في عهد الدولة البويهية وفي تلك البيئة التي وصفناها لك آنفاً وفي أوائل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ولد شخص قدر له أن يكون شاعر الفرس ورافع لواء العلويين ومخلد آثار الشيعة باللغة العربية ذلك هو مهيار بن مرزويه الذي لقب فيما بعد بأبي الحسن (أو أبي الحسين) وكانت ولادته ببغداد في أحضان أسرة فارسية دليمة متوسطة الحال فأغرى والده بحكم البيئة بنشئته تنشئة عربية لأن بغداد في ذلك العصر كانت لا تزال مهد اللغة العربية ومركز الثقافة العربية وموطن الخلافة الإسلامية وقاب الإمبراطورية العباسية فلم يكن هناك يد لمن يريد التبوغ والشمرة أن يحدق العربية .

والحق أن هذا العصر هو العصر الذهبي لكتابة الرسائل بالعربية والتفنن في إجادتها فقد ضمت الدولة البويهية إلى أحضانها كثيراً من الكتاب الذين يعتبر كل منهم عميداً ورئيساً مثل ابن العميد والصاحب ابن عباد والخوارزمي وبديع الزمان الهمزاني

وربما شجعت سمعة هؤلاء مهيار وشجعه ما كانوا يشغلونه من المناصب الراقية فأقبل على تعلم العربية بكل ماله من عزم وحزم حتى أتقنها وأجاد علومها المختلفة وأحاط بتاريخ العرب وقد قدر له أن يتصل بالشریف الرضى شاعر عصره فتحول مجرى جهوده عن الكتابة إلى الشعر فخرج على الشریف في ذلك الفن واقتبس قبساً من روحه وأخذ عنه أخلاقه وآدابه ومشاربه وأسلوبه ولعلك

تلمح من خلال شعر مهار ما كان لاتصاله بالشريف من آثار فى روعة أسلوبه وجلال معانيه وعذوبة ألفاظه والعفة فى الغزل والنسب والتلطف فى الهجاء وعلو النفس وعدم الألفاف فى السؤال ولم يقف اتصال مهار بالشريف إلى هذا الحد بل كان من اتصال نفسيهما واتحاد رويهما أن أسلم مهار وأعتق مذهب غلاة الشيعة على يد أستاذه وذلك سنة ٣٩٤ هـ

وما زال مهار يذهب فى الشعر كل مذهب حتى نبغ فى فنونه عامة وفى المدح والثناء والغزل والوصف والفخر خاصة

وأجل مدائحه مامدح به عليا وآله والأمراء والأدباء من أبناء عصره ، وأشد مراثيه أثرا فى النفس مارثى به الإمام عليا وندب به أولاده وما رثى به أستاذه الشريف الرضى لما توفى سنة ٤٠٦ هـ - وقلبا تخلو قصيدة من مطولاته من الغزل والنسب تارة على مذهب المتقدمين وطورا على طريقة المحدثين -

أما أوصافه فدقيقة تدل على قوة ملاحظته وقد كان يصف كل ما يقع تحت نظره من المناظر الخلابة والأشياء التى قلما يلتفت الإنسان إليها كالشمع والقلم والدواة والعود - وكثيرا ما كان يفخر بنفسه وبانتسابه للفرس واعتناقه الدين الإسلامى وولائه لعلى وآله

ثم استمر مهار يملأ الأرض بقصائده الطوال ويحيى الملوك والأمراء والأدباء ويمدحهم ويرثى موتاهم ويهتشم بالانعياد والمواسم حتى توفى سنة ٤٢٨ هـ

هذا هو تاريخ حياة مهار ذكرناه لك بجملا ونود الآن أن نبدا بتحليل شخصيته وبيان نواحي عقلية بشىء من التفصيل مستشهدين على ما نقول بأشعاره مبدئين لك مقدار تأثيره ببيتته فى ذلك كله فنقول :-

(٣) مذهب مهار سياسى

كان مهار شعويا متعصبا للفرس قبل كل شىء والشعويون (أو الشعيون) طائفة من الأدباء والمؤرخين يفضلون

الأعاجم من الفرس والروم والهنود والمصريين الذين اعتنقوا الإسلام على العرب ثم هم يناضلون ويقيمون الحجج والبراهين على أعدائهم (أهل التسوية) وقد قامت المنازعات والمفاخرات بين هذين الفريقين بعد فتح العرب لبلاد فارس والروم ولكن الخصومة بلغت منتهاها في ذلك العصر الذي نحن بصدده والذي ظهر فيه الشعوييون لاسيما المتعصبين منهم للفرس على العرب

ومن الشعريين أبو عبيدة البزوقي وحمة الأصفهاني ومن أهل التسوية لجاحظ وابن دريد وابن قتيبة والزمخشري

ومن الشعراء الشعويين بشار بن برد لأنه كان فارسي الأصل ولكن تعصب ميار لأبناء جنسه بلغ مبلغا لم يعهد فيه من قبل وإنما دعاه لذلك نشأته في أسرة فارسية مجوسية وساعده على ذلك معيشته تحت حماية دولة فارسية النشأة والنزعة وإنك لتري أثر شعوبيته ظاهرا في أشعاره خصوصا في تلك القصائد التي نظمها قبل أن يسلم وليس أدل على ذلك من قصيدته التي أولها:

أتعلمين يا بنت الأعاجم كم لأخيك في الهوى من لأم

قصيدة من أمهات قصائده السياسية وهي باكورة شعره سنة ٢٧٨ أي قبل أن يسلم بسبع سنين ولعل ذلك كان بعد اتصاله بالشریف الرضی وشربه من حياض العلويين كما ستري. ومياريبدأ هذه القصيدة بالفخر بنفسه والتشجيع لوطنه والتأييد بشرقه الذي ناله من انتسابه للفرس ويذكر أنه لا يزال بمن يلوهم في سبيل ذلك وهذا حيث يقول بعد المطلع السابق:

يحب يلقاه بوجه طلق	ينطق عن قلب حسود راغم
وهو مع المجد على سبيله	ماض مضاء المشرق الصارم
ممثلا ما سنه آباؤه	إن الشبول شبه الضراغم
من أيكه منذ غرستها فارس	ما لان غمزا فرعها لعاجم
لمن على الأرض وكانت غيضة	أبنية لا تبتغي لهادم
من فرس الباطل بالحق ومن	أرغم للظلم أنف الظالم

الا بنو ساسان أو جدودهم طربخوافيهم و بالقوادم
 أيهم أبكى دما فكلهم يحل عن دموى السواجم
 كم جذبت ذكراهم من جلدى جذب الفريق من فؤادهاجم
 لاغرو والدنيا بهم طابت إذا لم تحل يوما بعدهم لطاعم
 بعد هذا قف هنية واستمع لمهيار يحمل حملة منكرة على العرب وينتقل من
 التليح إلى التصريح في تفضيل العجم عليهم ثم اصغ له يؤكد مدح الفرس و يعيد
 الكرة على العرب فيحط من منزلتهم مع شيء من التقرير والتوبيخ يضعه في بيت
 واحد فذلك حيث يقول :

يأناحلى مجدهم أنفسهم	هبوا فلا ضغات عين الحالم
شتان رأس يفخر التاج به	وأرؤس تفخر بالعمائم
كم قصرت سيوفهم عن جارهم	خطى الزمان قائما بقائم
ودفعت حماهم عن نوب	عظامم تكشف بالعظامم
وخولوا من نعمة واغتنموا	جل السماح عن يمين غارم
مناقب تنفق مارقعتهم	من بأس عمرو وسماح حاتم

ثم هو بعد يتلطف ويظهر مهارة فنية فيسل النبي من العرب (كما تسل الشعرة
 من العجين) و يذكر ما كان له من الأثر في مدايتهم وتقويم معوجهم ورفع شأنهم
 وإعلاء كلمتهم حتى أصبحوا أمة مهية الجانب قوية السلطان وذلك حيث يقول :

ما برحت مظلة دنياكم	حتى أضاء كوكب في هاشم
بنتم به وكنتم من قبله	سرا يمرت في ضلوع كاتم
حلتم بهديه ويمنه	بعد الوهاد في ذرى العواصم
وعاد «هل من مالك مساح»	تدعون «هل من مالك مقاوم»
تحقق رايانكم منصوره	إذا ادرعتم باسمه في جاحم (١)

ولم يسمح تعصب مهيار للعجم ضد العرب أن يقف به عند هذا الحد بل

(١) الجاحم : الحرب وشدة القتل

إنه ينقض على أعدائه مرة أخرى ويلومهم أشد اللوم على إيذاء ذلك النبي الكريم الذي نشأ فيما بينهم ويعنفهم من التعنيف على تعذيبه وسلوك طرق النفاق والمشاكسة معه بقوله :

عمر فيكم في أذى تفضحكم أخباره في سير الملاحم
بين قتل منكم محارب يكفر أو متافق مسلم
ثم قضى مسالماً من ريبة فلم يكن من عذركم بسلام
ثم هو بعد أن ينتهي من ذكر خيانة العرب لنبيهم وسوء معاملتهم له يظهر تشييعه لعلي وآله ويأخذ على العرب عدم انتصارهم لهم وسكوتهم على مقتل الحسين بن علي الذي استحل قتله إمامهم الباغي . يريد بذلك يزيد بن معاوية ولعله أراد بهذا التشيع التقرب لأستاذه الشريف الرضي وإرضاء الولاة وأصحاب الرأي من الشيعة ، وذلك بقوله :

نقضتم عهده في أهله وحلتم عن سنن المراسم
وقد شهدتم مقتل ابن عمه خير مصل بعينه وعائمه
وما استحل باغياً إمامكم يزيد بالطف (١) من ابن فاطم
وها إلى اليوم الظبا خاضبة من دمه مناسر القشاعم
بعد هذا يرجع إلى موضوع القصيدة الأساسية وهو مدح الفرس فيصفهم بالوفاء والنبات على العقيدة ، أما ما يأخذه العرب على الفرس من أنهم فتحوا بلاد فارس وغلبوا العجم على أمرهم فيرد عليه مهيار بأنه كبوة من كبوات الدهر التي قلما ينجو منها أحد فمن الواجب إذن التغاضي عنها كما يتغاضي عن زلة السابق وهفوة الحازم ثم يختم قصيدته كما بدأها بتعنيف ، من يلومه من العرب على موالاته الفرس وانقطاعه لهم والافتخار بالانتساب إليهم بقوله :

والفرس لما علقوا بدينه لم تل العروة كف فاصم
فمن إذا أجدر أن يملكها موقوفة على النعيم الدائم

(١) أطف : الموضع الذي قتل فيه الحسين

لا بد يوما أن تقال عشرة من سابق أو هفوة من حازم
لو هبت الريح نسيما أبدا لم يتعوذ من أذى السحائم
خذا يا حسودى بين جنيك جوى يرمى إلى قلبك بالضرائم
واقف فقد فتك غير حامل بالصقر أن تفرع سن نادم
لازلت متحوس الجزاء قلعا لو ادع وسهرا لناسم
ويعتبر مدح مهيار للعلويين وأتمتهم خطوة نحو اعتناق الإسلام ولا شك
أنه قد أثر في نفسية مهيار ملازمته للشريف وشدة اتصاله بالملوك والأمراء من
الفرس المتشيعين لعل ، وحياته في عصر وجو كليهما تشيع ، والظاهر أنه كلما
تقدمت سنة ازداد تعلقه بعلى وآله وأشرب قلبه حبهم فكان هذا بمثابة تمهيد
لاعتناقه الدين الإسلامى

وهانحن نورد عليك شيئا من قصيدة نظمها في المحرم شهر التعازى من
عام ٣٩٢ أى قبل إسلامه بستين أعنى تلك القصيدة التى أولها :
يزور عن « حناء » زورة خائف تعرض طيف آخر الليل طائف
وهى تلك القصيدة العصماء التى يثرى بها الأمام على بن أبى طالب ويمدحه
ويذكر شغفه بمدح آل بيته
فهذا هو يقول :

يذكرنى مشوى على كائننى سمعت بذلك الرزء صيحة هاتف
ركبت القوافى ردف شوقى مطية تحب يحارى دمعى المترادف
إلى غاية من مدحه أن بلغتها هزأت بأذيال الرياح العواصف
وما أنا من تلك المفازة مدرك بنفسى ولو عرضتها للمتالف
ولكن تؤدى الشهد أصبع ذائق وتعلق ريح المسك راحة دائف
بنفس من كانت مع الله نفسه إذا قل يوم الحق من لم يحازف
إذا ما عزوا ديناً فأخر عابد وإن قسموا ديناً فأول عاكف
كفى يوم بدر شاهداً وهوازن لمستأخرين عنهما ومزاحف

وخير ذات الباب وهي ثقيلة ال
مرام على أيدي الخطوب الخفاف
وفي هذه القصيدة يقول مخاطبا عليا
أسر لمن والاك حب موافق وأبدى لمن عاداك سب مخالف
وأعزى بك الحساد إنك لم تكن على صنم فيما روه بعاف
وكن حسان الجيب من كل غامر كذاك حصان العرض من فم قاذف
ثم يقول مشيرا إلى تعلقه بعلي وآله رغم كونه من الفرس ورغم ما يلاقيه
من حساده من اللوم والتأنيب :

وما نسب ما بين جنبي تالد بغالب ود بين جنبي طارف
وكم حاسد لي ود لولم يعش ولم أنابله في تأينكم وأساييف
تصرفت في مديحك فتركته بعض على الكف عض الصوارف (١)
هوكم هو الدنيا وأعلم أنه يبيض يوم الحشر سود الصحائف
وفي هذا المعنى يقول من قصيدة أخرى مخاطبا الحسين بن علي :

كأن ضريحك زهر الربيع هبت عليه نسيم الخريف
أحبكم ماسعى طائف وخت مطوقة في الهتوف
وإن كنت من فارس فالشريف معتل ذكره بالشريف

(٤) إسلامه واعتناقه مذهب غلاة الشيعة

في سنة ٣٩٤ خطا مهيار الخطوة الأخيرة نحو الإسلام فاعتنق ذلك الدين
الحنيف ويقال إن ذلك تم على يد أستاذه الشريف الرضي ، ولكي يكون ثابت
العقيدة محافظا على مبدئه وولائه لأستاذه جامعا بين تعصبه للفرس وتشيعه
لعلي وآله ، لم يجد بدا من أن يتخذ مذهب أستاذه ومذهب الملوك والأمراء من
أبناء جنسه مذهباً له ذلك هو مذهب الشيعة العلويين المغالين في تشيعهم الذين
يقولون بأحقية علي للخلافة وكون الخلفاء الثلاثة الأول أبي بكر وعمر وعثمان
غصبوه حقه فيها وغلبوه على أمره

(١) الصوارف : الأنياب

وإنما سرت هذه العقيدة إلى الفرس وانتشرت فيما بينهم لأسباب سياسية من جهة ولكونهم من جهة أخرى إرستقراطيين يعتقدون أن الخلافة كملك من الأمور الوراثية وراثته إلهية التى يرثها الابن عن أبيه ، فهم يقولون إن الخلافة بطبيعة الحال انتقلت إلى على بالوراثة لأن النبى (ص) توفى ولم يعقب ولدا وكان على ابن عمه وزوج ابنته أقرب الناس إليه لذلك كان أحق الناس بالخلافة والعرب لم يكونوا يرون هذا رأى لكونهم ديموقراطيين يقولون بأن الخلافة لمن هو أقدر على القيام بها وبشؤونها ولا يتأهلها إلا من وقع الاختيار عليه وبويع مبايعة صحيحة

هذه هى مسألة من المسائل السياسية الكبرى التى كثر النزاع فيها وسالت فى سبيل حلها الدماء ونطقت فى الدفاع عنها الألسنة وجرت الأقلام فى ترجيح رأى على الآخر ، وقد كان مهيار بحكم نشأته وبيئته ممن ذهب مذهب الارستقراطيين وإنك لتجد رأيه ظاهرا فى شعره خاليا من المواربة والمواراة فهو لا ينطق بلسانين ولا يقابل الناس بوجهين فى هذه المسألة

وأنت ترى أنه لم يصل لهذا رأى طفرة ولكنه قال به بعد أن فضج عقله وخاض فى الموضوع خوضا عميقا ولا كـه لسانه مرارا عديدة وهو مع ذلك لم يأت بغريب ولم يكن إلا جاريا على مذهب أهل عصره ومبدأ بنى جنسه ومن ربطتهم به رابطة الدين والجنسية والوطنية ، وأول قصيدة نظمها بعد أن اعتنق الاسلام هى التى كتب بها إلى الكافى الأوحـد يبشره ويمدحه ويهجن قومه بسفه مام عليه ومعاييه أعنى بذلك القصيدة التى أولها :

دواعى الهوى لك ألا تجيبا هجرنا تقى ما هجرنا ذنوبا

والتي فيها يقول مخاطبا الكافى الأوحـد :

وبلغ ، أخاصجتى ، عن أخيك عشيرته نائيا ، أوقريسا

تبدلت من ناركم ربها وخبت موافدها الخلد طيبا

حبست عنائى مستبصرا بآية يستبقون الذنوبا

نصحتكم لو وجدت المصيخ وناديتكم لودعوت الحيا
 أفنوا فقد وعد الله في ضلالة مثلكم أن يتوبا
 وإلا هلبوا أباهيكم فمن قام والفخر قام المصيا
 أمثل محمد المصطفى إذا الحكم وليتموه لييا
 بعدل مكان يكون القسم وفصل مكان يكون الخطيا
 وثبت إذا الأصل خان الفروع وفصل إذا النقص عاب الحسيا
 وصدق بأقرار أعدائه إذا نافق الأولياء الكذوبا
 أبان لنا الله نهج السيل بيعته وأرانا الغيوب
 لأن كنت منكم فإن الهجين يخرج في الفلوات النجيا
 وإنك لتعثر في ديوان مهيار على كثير من القصائد التي يؤيد فيها تشيعه ويحمل
 على الصحابة حملات قاسية ويقم عليهم الحجة بعد الحجة فمن ذلك قصيدته
 التي أولها :

في انظباء الغادين أمس غزال قال عنه مالا يقول الخيال
 وفيها يقول (مشيرا ليوم السقيفة يوم أن تفاخر المهاجرون والأنصار
 بعد وفاة الرسول (ص) وأخذ كل فريق يبين أحقيته للخلافة وكان على بن أبي
 طالب غائبا ، شغله عن الحضور تجهيز جثة النبي للدفن)
 حملوها يوم السقيفة أوزا را تخف الجبال وهي ثقال
 ثم جاءوا بعدها يستقلون ن وهيات عثرة لا تقال
 وفيها يقول مشيرا إلى مقتل علي وابنيه الحسن والحسين :
 يا لقوم إذ يقتلون عليا وهو للمحل فيهم قتال
 ويسرون بفضه وهو لا تقبل إلا بحبه الأعمال
 وللبطين تابعيه فسمو م عليه ثرى البقيع يهال
 درسوا قبره ليخفى عن الزو ارهيات كيف يخفى الهلال
 وشهيد بالطف أبكى السموات وكادت له تزول الجبال

يا غليلي له وقد حرم الما ، عليه وهو الشراب الحلال
وفي هذه القصيدة يشير إلى اعتناقه الإسلام وما ناله من الخير والنعمة بعد
ذلك فيقول :

لهف نفسى يا آل طه عليكم لهفة كسبها جوى وخبال
وقليل لكم ضلوعى تهتز مع الوجيد أو دموعى تزال
كان هذا كذا ووردى لكم حسب ومالى فى الدين بعد اتصال
وطروسى سود فكيف فى الآ ن ومنكم يياضها والصقال
حبكم فك أسرى من الشر ك وفى منكبي له أغلال
كم تزلت بالمذلة حتى قت فى ثوب عزكم أختال
بركات لكم تحت من فؤادى ما أحل الضلال عم وخال
ومن حملاته العنيفة التى يحملها على الخلفاء الثلاثة وعلى بنى أمية ما قاله فى
قصيدة من غرر قصائده مطلعها :

سلا من سلا من بنا استبدلا وكيف يحا الآخر الأول
(فارجع إليها إن شئت)

وقد ذهب مهيار فى سب الصحابة وتعنيف الخلفاء الثلاثة مذهبا أنكره
عليه المسلمون حتى أن أبا القاسم بن برهان قال له يامهيار انتقلت بأسلامك فى
النار من زاوية إلى زاوية قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك كنت بجوسيا فأسلت
فصرت تسب الصحابة

وليس هناك طعن أشد إيلاما من قوله فى قصيدة :

وقائل لى على كان وارثه بالنص منه فهل أعطوه ما منعوا
فقلت كانت هنات لست أذكرها يحزى بها الله أقواما بما صنعوا
أبلغ رجالا إذا سميتهم عرفوا لهم وجوه من الشحنة تمتنع
توافقوا وقناة الدين مائلة فحين قامت تلاحوا فيه واقترعوا
أطاع أولهم فى الغدر ثانيهم وجاء ثالثهم يقفون ويتبع

ثم هو يقيم الحجج والبراهين على ضعف رأى الصحابة وبعدهم عن الحق فيقول :
 قفوا على نظر فى الحق نفرضه والعقل يفصل والمحجوج ينقطع
 بأى حكم بنوه يتبعونكم وغركم أنكم صحب له تبع
 وكيف ضاقت على الأهلين تربة وللأجانب من جنبيه مضطجع
 وفيم صيرتم الأجماع حججكم والناس ما اتفقوا طوعا ولا اجتمعا
 أمر على بعيد من مشورته مستكره فيه والعباس يمتنع
 وتدعيه قريش بالقراية وال أنصار لا رفع فيه ولا وضع
 فأى خلف كخلف كان بينكم لولا تلقق أخبار وتصطنع
 فأنت ترى من هذا أن حجته قائمة على الأحقية بالقراية حسب ما يرى الفرس
 وفى الآيات الآتية يشير إلى يوم الغدير (غدير خم) وهو غدير بين مكة
 والمدينة قيل أن النبي (ص) خطب الناس عنده وأمسك يده على وقال « من كنت
 مولاه فعلى مولاه » فهذا حيث يقول :

وأسألهم يوم خم بعد ما عقدوا له الولاية لم خانوا ولم خلعوا
 قول صحيح ونيات لها نفل لا ينفع السيف صقلا تحته طبع
 إنكارهم يأمر المؤمنين لها بعد اعترافهم عاربه ادرعوا
 ونكثهم بك ميلا عن وصيتهم شرع لعمر كئان بعده شرعوا
 تركت أمرا ولو طال به لدت معاطس راغمته كيف تجتدع

ومن قصائده الحافلة الجامعة التى يذكر فيها مناقب على وكرامته ويعدد
 مآثر العلويين ومواقفهم الشريفة ويعيب على الصحابة خذلانهم لعلى ، وعلى بنى
 أمية مقتل الحسين ويفتخر بأسلامه واتصاله بالعلويين مطولته التى أولها :
 إن كنت ممن يلج الوادى فسل بين البيوت عن فؤادى ما فعل
 وهى قصيدة طويلة تربو على مائة بيت وعشرة آيات نظمها بعد أن أدركه
 الشيب إذ فيها يقول متحسرا على أيام الشباب ناقما على أيام المشيب وواقفا
 بنفسه موقف الراعظ

أين لبالنا على الحيف وهل
ما كن إلا حلما روعه الصبح
ما جمعت قطر الشباب والغنى
يالبىت ماسود أيام الصبا
ما خلعت سوداء يياضى فصلت
طارقة من الزمان أخذت
قد أذرت مبيضة ان حذرت
ودل ما حط عليك من سنى
كم عبرة وأنت عن عظاتها
ما بين يمنالك وبين اختها
فاعمل من اليوم لما تلقى غدا
يرد عيشا بالحى قولك هل
وظلا كالشباب فانتقل
يدامرى ولا المشيب والجذل
اعدى يياضا فى العذارين نزل
حتى ذوى أسود رأسى فصل
أواخر العيش بفرطات الأول
ونطق الشيب بنصح لو قبل
عمر ك أن الحظ فيما قد رحل
ملتفت تتبع شيطان الأمل
إلا كما بين مناك والأجل
أولا فقل خيرا توفق للعمل

وفى هذه القصيدة يصف آل البيت بقوله :

الطيبون أزرا تحت الدجى
والمنعمون والثرى مقطب
خير مصل ملكا وبشرا
هم وأبوهم شرفا وأمهـم
ويشير إلى الحوادث التاريخية التى حدثت أيام الخلفاء الثلاثة وما كان من
الفتن والحروب بعد ذلك بقوله :

وههم تخرصا قد ادعوا
فما بالهم عادوا وقد وليتهم
وبايعوك عن خداع كلهم
ضرورة ذاك كما عاهد من
وصاحب الشورى لما ذا ترى
أن النفاق كان فيهم وبطل
فذكروا تلك الحزازات الأول
باسط كف تحتها قلب نفل
عاهد منهم أحدا ثم نكل (٢)
عنك وقد ضايقه الموت عدل

(١) أزل : شديد ضيق (٢) نكل : تكص وجبن

والأموى ماله أخسر كم وردها عجماء كسروية
كذلك حتى أنكروا مكانه ثم قسمت بالسواء بينهم
فشحذت تلك الظبا وحفرت مواقف في الغدر يكفي سبة
وما الخيثان ابن هند وابنه بمسدين في الذي جاء به
إن يحسدوك فلفرط عجزهم وفيها يذكر ولاء لآل البيت وعكوفه على مدحهم رغم معارضة الناس
واستنكارهم :

عادت فيك الناس لم أحفل بهم تفرغوا يغترفون (٢) غيبة
عدلت أن ترضى بأن يسخط من ولو يشق البحر ثم يلتقى
تضعني من طرفي في جبلكم فضلت آبائي الملوكة بكم
حتى رموني عن يد إلا الأقل لحى وفي مدحك عنهم لي شغل
تقله الأرض عليك فاعتدل فلقاه فوق في هواك لم أبسل
مودة شئت ودين مقبيل فضيلة الإسلام أسلاف الملل
(للبحث بقية)

(١) النفل : الهبة (٢) يغترفون : يأكلون

— إقرأ المعرفة ؛ تزدد علماً وثقافة —

حرية المرأة في الإسلام

(كتبت خصيصا لمجلة المعرفة)

بقلم الكاتبة الذائعة الصيت

مدام دى سان بوا

رئيسة تحرير مجلة فينكس

طلبنا إلى حضرة الكاتبة المعروفة مدام دى سان بوا رئيسة تحرير مجلة فينكس التي تصدر بالفرنسية في القاهرة . أن تفضل بالتحدث إلينا عن رأيها في المرأة الشرقية عامة ، والمرأة المصرية خاصة ، وعما إذا كانت — باعتبارها من درسوا الحياة الشرقية دراسة تامة — ترى رأى القائلين بالسفور ، أم رأى القائلين بالحجاب . وكذلك رأيها عن مسألة الزواج ، وما يتصل به من شؤون فأمهلتنا حتى نكتبه ، وانتظرنا حتى بعثت إلينا بالموضوع الذي يرى القراء تعريبه بعدد

المحرر

* *

كم من الكلمات المعسولة ، تفعل في النفوس فعل الخمر . تظهر بالمظهر الجميل ، والصورة الخلابة للمثل العليا ، التي تبث في أذهان الناس روح الغرور والتخيل والأوهام . وخصوصا في أذهان الناشئة من الشبان والشواب فن أمثلة تلك الكلمات : كلمات الحرية ، والمساواة ، والتقدم ، والمدنية وغيرها ...

ونحن الآن سنبحث عن تلك الكلمة الأولى ، وأعني بها كلمة الحرية فحسب

* *

الحرية . هي هذه الأمنية السامية ، وتلك الأنشودة العذبة ، وذلك اللحن المستعاد ، أوهي المثل الأعلى للفرد الذي يأخذ الإنسان بلفظه الساحر فيدفعه

إلى الغرور بنفسه . والزج بها حتى تهوى به إلى الحضيض . والحق هو أن تلك الأمنية هي التي تحفر الحفرة العميقة ، التي لاقيامة للإنسان منها ، إلا حين يتقظ شعوره ، ويسمو تفكيره . أو على الأقل . حين يفجأه نور الحقيقة الساطع ، فتجعله المفاجأة وجها لوجه أمام الأمر الواقع . وكثيرا ما يكون الواقع مما لا يسر نفوسنا أو ترأضيه عقولنا . على أنه مهما يكن من شيء ، فأنا أرغمون على قبوله إرغاما

من هذا . نستطيع إذن ، أن نقول . إن الإنسان ليس له نصيب من الحرية مطلقا . وكيف يكون حرا في حياته ، وهو نفسه مقيد الحرية سواء في مولده أو مماته ؟ وكيف تتحقق له تلك الأمنية العذبة ، وهو نفسه لا يعرف منها غير القشور

وإذا أردنا البحث من الناحية الاجتماعية ، نجد أن القيود التي قيدت بها حرية المجتمع بشطريه ، واحدة في كل حال من الحالات الاجتماعية ، وبتعبير أدق ، نرى أن تلك القيود ، هي بذاتها ، الإرادة السامية ، والقوة المتسلطة على الوجود السكلي نفسه

والحرية ، إن هي إلا نتيجة إحساس بالشخصية ، أو نتيجة شعور بالفردية تخلصت من بعض قيود دينية أو اجتماعية

ولقد انبعث في الغرب ، هذا النوع من الحرية ، حيث ظهر فيه بأبهى المظاهر الخلابية ، وأجمل الصور الخداعة . ولهذا ارتكب تحت ستاره ، كثير من المظالم الفردية المروعة . ووقع في ظله كثير من الأخطاء الأخلاقية المفجعة ولقد صار هذا النوع الذي يخفى تحت المظاهر الخلابية - سما يسرى في جسم الإنسانية ، حتى يهلكها تدريجيا . وهذا هو ما نشاهده في هذا العصر نفسه

وقد اندفع الغرب بذلك النوع اندفاعا جنونيا ، وانساق بشره المحقق ، انسياقا تاما ، حتى أضحي معروفا بذلك دون غيره

وهذا الغرب نفسه هو الذي جلب إلى الشرق هذا العلم الخداع (علم



(صورة مدام دی سان بوا صاحبة المقال)

الحرية) . الذى يستر بين ثنياه شر الأخطاء وأشد المصائب
ولقد ضل به كثيرون فى الشرق ، متناسين تقاليده التى كانت سر عظمته
وسبب روعته ، والتى ليست - كما يعتقد أو يدعى البعض - سبب نومه . ذلك
النوم الذى أراه فى الحق ليس إلا نوما عاديا لجنس البشرية التى تخضع بطبيعتها
لحكم القوانين الطبيعية ، من ليل ونهار . وكما أن الظلام هو ليل الطبيعة ، كذلك
لابد للخلوقات من ليل تتمثله فى النوم
ولو فرض أن ثمة فائدة تعود على الشرق من تلك اليقظة التى أرغمه عليها
الغرب . فليس يستنتج من ذلك . وجوب اتباعه وتقليده ومحاكاته .

قد يسألنى سائل فيقول : وكيف ذلك ؟

نقول إن السبب . هو ماتولد عن تلك الانقلابات أو عن تلك العدوى
السياسية ، والاجتماعية ، والفلسفية ، والفنية - فى الشرق من عدم التوازن ،
الذى كان سببه غرابة تلك الأفكار عنه

ألم ينشأ عنها أن بعد الناس عن القرآن تدريجيا ؟ والقرآن هو هذا الكتاب
الكريم الكامل . الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . سواء ذلك فى أحكام
الفرق والجماعة . أو فى النفس ، والروح ، والجسد . أو فى علاقة الإنسان بربه
وعلاقته بالناس ، وعلاقته بنفسه فى حياته الخاصة والعامة . . . الخ

والمرأة تعتبر فى كل زمان ومكان القطب السالب ، الغير فعال .
ويعتبر الرجل القطب الموجب الفعال ، ولكن باتصالهما ببعضهما البعض . يتم
كل منهما عمل الآخر . ولهذا تعتبر المرأة دائما ، الحارس اليقظ الأمين على
التقاليد التى تنعكس منها التقاليد الضرورية ، المعهود بها إلى الرجل فى الحياة
الخارجية

وقد تأثرت - نوعا ما - المرأة المسلمة المتحضرة باتصالها بالمرأة الغربية .
فأصبحت هى الأخرى تحلم بالحرية وتغبط أختها التركية على انتقالها من الحرم
إلى صالات الرقص ، وتعلم فنونه ، وتناول شراب (الكوكتيل) بدل شراب الورد

وفي فرنسا يظهر لها غريبا جدا ، أن المرأة الفرنسية لاتذهب إلى أماكن اللهو الكثيرة ، مثل « المونمارتر » و « الفولى برجير » بينما لايفوتها اقتناء أحدث الملابس لآخر طراز (الموده) . فتستبدل فى وقت قصير ملابس عالية القيمة بأخرى تساويها إن لم تكن أقل من الأولى متانة وتحملا

وإذا بحثنا مسألة المرأة من ناحية الطراز (الموده) يكون بحثنا سطحيا فى الواقع . وقد أصبح الطراز بتغيره المستمر ، وتبدله الكثير ، واهتمام كل النساء طول حياتهن به — سواء كن صغيرات أو كبيرات ، قبيحات أو جميلات — بل وعدم ازدراء الرجل له بسكوته عنه . أصبح هذا الطراز يعد الطابع المشين للزمن والرمز المزرى للعصر ، فيقال عصر الموده

والحق أن التغيير ، والتبديل ، والتخيلات هى الأعداء الحبيثة للدودة للثبات ، والمبادئ ، والتقاليد

وإذا كانت المؤثر فى الإنسان ، هو ما يسمى بالحياة الداخلية ، فلا ينكر أحد أن مظهر الإنسان — الذى يرسمه لنفسه تبعالقوانين التقليد — له تأثيره البين عليه . وطريقة الأوضاع ليست بدون قيمة فى الحق إذ أن الإنسان فى نهاية تقليده لها ، لابد ، وأن يشبه ما حاول الظهور به منها

وتقليد المرأة التى من أمة معينة ، للملبس أختها من أمة أخرى ، أمرله أهميته ، حتى ولو لم يضع الكتاب المقدس لتلك الأمة أحكاما للملبس . على أن هذه الحال . . (عدم وضع الأحكام) ليست فى القرآن ؛ الذى وضعها ، وأحكم وضعها تماما

يتضح من هذا . أن تمرد المرأة على الملبس — وكلما تكون متعلقة تعليما كاملا — يدل على أنها تعاني ثورة فكرية عميقة . ولكن لا ننسى أيضا أن تلك الملابس التى تصل فى قصرها إلى حد فاضح ، أمر مؤلم جدا للمرأة المسلمة ، أكثر من رفعها للثياب ، وقد أوصى الرسول العربى بالحجاب . وما كان ذلك منه تفضيلا ، أو مراعاة الطراز الأخير . ولكن أليس يعد خرافة ، أن تتبع

المرأة المسلمة عكس ما أوصى به الرسول بوضعها على الفم قطعة رقيقة شفافة من (الموسلين) تكاد لاتخفى شيئا مما أمر به أن يستر؟

ففي رسالته يعلمنا أن النساء يحب عليهن اتباع الحقائق . والحقائق المقصودة من روح الآيات القرآنية الخاصة بملابس النساء ، لا تعنى إلا مايلائم الحشمة ، ويتفق والبساطة ، بما لا يوقظ في الرجال غرائزهم الجنسية

وطبيعيا كان النقاب يلبس في أيام النبي (ص) وقد كان المقصود منه حماية الوجه ، ووقاية العينين من لفحات الشمس ، وذرات الرمال المتناثرة . وقد كان هذا النقاب موضع عناية النبي (ص) الذي ما كان لير تضي أن يرى هذا اليوم الذي تخطر فيه الفتيات المسلمات في الشوارع بقطعة رقيقة من (الموسلين) الشفاف والتي يضعنها على ثغورهن باسم النقاب ظلما . بينما لاتخفى ثيابهن القصيرة شيئا من سيقانهن الجميلة المغرية ، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدن زينتهن ، إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » (١) وقوله « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » (٢) .

السفور

ولست مسألة السفور بذات قيمة في نفسها . أما الشيء الأكثر أهمية فهو روح التعاليم ، التي تأمر بارتداء الملابس المحتشمة التي لا تثير في الرجل غريزته الجنسية

ز (١) راجع سورة النور آية ٣١ (٢) راجع سورة الأحزاب آية ٥٩

تلك في نظري هي النقطة الجوهرية . وقد تكون لهيئة المرأة التي تبدو بها ولنظراتها المثيرة ، ومشيتها الخليعة — أثر أهمية في عمل الملابس نفسها . وأراني مضطرة لأن أصرح بأن المرأة المسلمة المتحضرة تبدو الآن في هيئة مثيرة جدا

ويظهر أن امرأة القرية لم تتأثر بهذا إلا قليلا ، وسوف لا تتأثر بالمرأة الغربية ، ولكنها ستقلد سيدتها هانم المدنية التي تتخذها كأنموذج عال تحتذيه وقد اقتنت المرأة المسلمة بمظهر الحرية الكاذب الذي لاختها الغربية . وخصوصا منذ الحرب الأخيرة . ولم تحاول أن تكشف أو تدرك ما يستتر وراء هذه الحرية الجوفاء ، ولو حاولت المسلمة ذلك لرأت أنها تملك قسطا أوفر بكثير مما تملكه الغربية . فهي بفضل عناية النبي ، أصبحت مصونة ، وبعيدة عن متاعب الحياة . مقاصد الرجل السيئ . وكثير من الآيات القرآنية ، يمنع هذا الاجحاف الواقع من الرجل على المرأة . ولنقارن الآن بين حقوق المرأة الغربية وحقوق المرأة المسلمة . ثم بعد ذلك نحكم حكما عادلا دون أن نخفي القصد ؟

للبحث بقية

اطبعوا مطبوعاتكم
في مطبعة مصر
بشارع الدواوين

ترتيب حروف الهجاء

بحث على تاريخي

للاستاذ حسن عبد الجواد المحامي

يقرأ المبتدئ حروفاً يحفظها مرتبة عن ظهر قلب ترتيباً يلاحظ معه نغمة يرتاج إليها سمعه ، لأن الحروف قد كونت جماعات متشابهة أحرف كل منها ، فإذا بدأ ينطق حرفاً تلاه حرف آخر أو أكثر لا يختلف عنه كثيراً ، فأن هو قال (صاد) قال بعدها (ضاد) وإن قال (باء) أردفها (باء) ثم (تاء) وهكذا حتى يقول (ياء) وإذا نحن ألقينا نظرة على لوح طفل صغير مبتدئ رأينا معاملة قد قسم له الأحرف الهجائية تقسيماً يراعى معه هذا النظام ، فيكتب له في اللوح الأول (ا . ب . ت . ث) وفي اللوح الثاني (ج . ح . خ) وفي اللوح الثالث (د . ذ . ز) وفي الرابع (س . ش . ص . ض) وهكذا حتى ينتهي إلى (ي)

ولكن هذا الترتيب الذي تألفه اليوم ، لم يكن هو بعينه الذي قام قديماً ، بل كان هناك ترتيب آخر لا يزال قائماً بجانب الترتيب المألوف هو (أبجد . هوز . حطي . كلمن . سغفص . قرشت . ثخذ . ضظغ)

وهناك ترتيب ثالث راعى واضعوه مخارج الحروف وستتكم عليه تفصيلاً مع الترتيبين السابقين : —

الترتيب الأول : — ترتيب أبجد هوز ... الخ ، وعلينا قبل التكلم عن معنى هذه الألفاظ أن نذكر أنها خلقت (كما قال حفي بك ناصف) في عهد السريانيين والعبرانيين وغيرهم من الأمم السامية

أما معنى هذه الألفاظ فمختلف فيه إلى حد كبير إذ قال جماعة — من بينهم هاشم الكلبي — إنها أسماء لأشخاص من العرب العاربة — محرقة قليلا ، وهم أبو جاد . وهواز ، وكلون ، وسغفص ، وقرشيات . وعلى أسمائهم وضعت الحروف الهجائية

ولكن لما كانت هناك حروف خارجة عن مجموع الحروف التي تكون تلك الأسماء، لم يهتم العلماء أمرها، بل جمعوها جماعة خاصة وسموها الروادف وهي (الثاء واخاء والذال، والظاء، والشين، والغين



(صورة الأستاذ حسن عبد الجواد)

ولذلك نراهم قد حوروا في الاسماء قليلا حتى جاءت مشتملة على حروف الروادف الستة ولذلك أصبحت (أبجد . هوز . حطى . كلمن . سعفص . قرشت . ثخذ . ضطغ) بدلا من (أبجداد وهواز وكلمون وصعفص وقرشيات) وذكر بعضهم أن هذه الأسماء كانت لملوك هلكوا في زمن شعيب عليه السلام واستدل بعضهم على صحة روايتهم بقصيدة رثائية قالتها أخت أحدهم وهو (كلمون) جاء فيها

(كلمون) هدركنى هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الشـخف ثاو وسط ظله
جعلت نارا عليهم وأراهم كالمضمحلـه

وأنكر علما العصر الحاضر أن هذه الألفاظ أسماء لأشخاص ولذلك نرى
أستاذنا الكبير حفنى بك ناصف يقول إنها ألفاظ لم يقصدها إلا جمع الحروف
فى كلمات سهلة الحفظ وليست أسماء أشخاص كما قيل

وإنى أرى أن الظاهر يؤيده فى رأيه خصوصا وأن من قال بالرأى الآخر
لم يدل بسند يصح أن يرتكز عليه ولو كان قولهم صحيحا لقالوا أبجد....
كلمون.... الخ بدلا من قولهم أبجد.... كلمن.... الخ

الترتيب الثانى :- تحرى فيه واضعوه - كما سلف قلناه - مخارج الحروف
ابتداء من الصدر إلى الشفتين . (راجع تاريخ الأدب لحفنى بك ص ٣٥

وما بعدها)

وهذا أساس صالح لترتيب الحروف وضعه ثلاثة من كبار العلماء
هم الخليل (فى كتاب العين) وسيبويه وابن سيده (فى المحكم) وإن اختلف
ترتيب كل من هؤلاء الثلاثة عن ترتيب زميله إلا أن خلاصة ترتيباتهم هكذا :
(اوى . حروف المد - هـ ع ح خ ق ك ج ش ي ض ل ر ن ط د ت ص
س ز ظ ذ ث ف ب م و)

الترتيب الحديث ... ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع
غ ف ق ك ل م ن ه وى .

هو الترتيب الذى تألفه والذى اعتبره أصحاب الصحاح ، والقاموس ولسان
العرب وجاء به نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر فى عهد عبد الملك بن مروان (راجع
انتشار الخط العربى ص ٢٤ وأساس ماجاء فيه فى كتاب حياة اللغة العربية
ص ٣٧) .

جاء هذا الترتيب جامعا الحروف المتشابهة معا ، فالباء بعدها تاء ثم ثاء
والطاء بعدها ظاء والعين بعدها غين وهكذا كما سبق بيناه فى صدر هذا البحث
ولكننا إذا وفقنا البحث خرجت حروف من غير شريك كالآلف مثلا
إذا لما ذاهم جاءوا بها فى مكانها ؟ وهل لذلك من أساس ؟

عللوا الأمر بأسباب ما كانوا ليهملوا فيها فضل الترتيب الأول
 السبب الأول : بدىء بالآلف لأنها أول أحرف أبجد
 السبب الثانى : الهاء أخرت للآتيان بها مع أحرف العلة لأنها تشبهها
 السبب الثالث : الزاى وضعوها فى مكانه مع أحرف الصغير
 السبب الرابع : الكاف واللام والميم والنون أنت متعاقبة لأنها أحرف
 (كلمن) الواردة فى الترتيب الأول
 وإذا نحن قلنا لهم لماذا وضعتم جماعة الجيم والحاء والهاء قبل جماعة الدال
 والذال ؟ قالوا لأن الجماعة الأولى أولها جيم والثانية أولها دال والجيم قبل الدال
 فى أحرف أبجد .

أما ترى أنهم احترموا — إلى حد كبير — الترتيب الأول ؟
 وأرى فى النهاية أن الترتيب الحالى هو وليد ظروف لا يعلمها أحد وأنه ترتيب
 تاريخى طبيعى ليس ليد زيد أو عمرو دخل فى أحكامه أو فضل فى وضعه وأختم
 تلك الكلمة بملاحظة لها أهميتها

هى أنه ورد فى كتاب الله الكريم آية تجمع الحروف الهجائية من أولها
 الى آخرها وهى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم
 تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر
 السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره
 فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين
 آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما »

فإذا نحن قشنا فى تلك الآية أخرجنا جميع الحروف الهجائية كاملة ولكنها
 غير مرتبة حسب أحد الترتيبات الثلاثة التى أوردناها .

وإننا لانعرف السر فى ذلك ولكننا نستنتج منها بلاغة عظيمة نشاهدها فى كل
 آية من آيات القرآن الكريم فبارك الله أحكم الحاكمين ؟

رحلة ابن بطوطة

تلخيص وتعليق

الأستاذ محمد اسماعيل ابراهيم

المدرس بمدرسة الظاهر الأميرية

ابن بطوطة مولده ونسبه :

هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم الملقب بشمس الدين ابن بطوطة الرحالة الشهير، الذي طاف الأرض معتبرا وطوى الأمصار مختبرا ولد بطنجة الواقعة على مياه بوزاز جبل طارق ببلاد المغرب سنة ٧٠٣ هجرية الموافقة سنة ١٣٠٤ ميلادية

ويعتبر ابن بطوطة أحد من أنجبهم بلاد المغرب من علماء وأدباء وقواد وهو معاصر لابن خلدون صاحب القدم الراسخة في علوم الاجتماع . وترجع شهرة ابن بطوطة إلى رحلته الطويلة التي جاس خلالها الاميراطورية العربية وسار الى أبعد حدودها شرقا في بلاد الصين . وقد دون أخبار هذه الرحلة في كتابه المسمى « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » أهمية كتاب تحفة النظار :

لقد كان لكتاب ابن بطوطة الأثر البعيد والفضل الأكبر، في كشف الستار عن أخبار أقوام عاشوا بالدنيا القديمة ، ولم تيسر لهم أسباب التقارب والتعارف والكتاب مرجع تاريخي لنواح اجتماعيه في مختلف الأقطار التي زارها ومرآة جليلة لهذا العصر، كما أنه أفاد من الناحية الجغرافية كثيرا . وما يدل على أهمية الكتاب ونفاسته ، أنه ترجم إلى اللغات الأجنبية لأن واضعه ثقة يحدّثك بأمانة عما عاينه من حياة الناس وآدابهم وعلومهم وصناعاتهم والعادات المتفشية فيهم ينشرك الكتاب هذه المعلومات الكثيرة الطلية في أسلوب روائى ونكات

ظريفة تدل على لباقة ابن بطوطة وخفة روحه وهو في هذه الصور التاريخية الرائعة التي رسمها عن وصف المان وأهلها ، يعطينا أوضح فكرة عن هذه الأيام الحالية التي كان ظلام القرون الوسطى سادلا أستاره الكثيفة عليها لصعوبة المواصلات وندرة الرحالين ، الذين يزجون بأنفسهم في مجاهل الأرض المحفوفة بالمهاالك . وإن كانت هناك طائفة تقضى عليها أعمالها أن تنتقل في أنحاء هذه الأقطار التي تكلم عنها ابن بطوطة ، فهم التجار الذين قاموا بقوافلهم يقطعون الفيافي ويهبطون في الأمصار . ولكنهم كانوا لا يهتمون بالتعرف إلى الحياة الفكرية أو العلمية أو حالة الطبقات التي لا تحتك بهم في المعاملة . وذلك لأن ميلهم وفرقتهم لا يسمحان لهم بذلك . هذا فضلا عن أنهم لم يفكروا في كتابه شيء يبقى على مر الأيام . بل كانوا يذيعون معلوماتهم بين عشيرتهم شفويا ، وهؤلاء يبالغون في تصويرها حتى يخرجونها عن حقيقتها

لذا فإن كتاب تحفة النظار في جملة ، يوضح للباحثين باجلى بيان ، الثقافة العامة الشائعة يومئذ . تلك الثقافة التي كان سداها ولحمها الدين وآدابه وأحكامه ورجاله فني مواقفك الكثيرة مع ابن بطوطة في رحلته ، تراه لا يتحدث إليك بأفاضة وإسهاب إلا عن العلماء والأولياء ومناقبهم ومقاماتهم العالية وما جرى له معهم من كرامات ، وما ناله على أيديهم من بركات . ولا عجب فإن الدين في هذا العصر كان ظاهر السلطان ، وله من الحكم والحكمة الخاصة أعوان أي أعوان

نعم كان الدين ملء الأسماع والأبصار والقلوب ، فلا غرو أن يكون ابن بطوطة على دين ملوكه . فهو يملأ سيرة رحلته بذكر العباد والزهاد ، الذين حظى بشرف المثول بين أيديهم أو في أضرحتهم في القرى والأمصار ، وليس أدل على أن جوانحه كانت منطوية على شعلة متقدة من الصلاح ، من أنه وهو في شرح الصبا وربعان الشباب يترك أهله وعشيرته نازحا بنفسه عن وطنه وحيدا يقتحم الأخطار في زمن لم تكن فيه غير الدواب والسير على الأقدام وسيلة للانتقال في تلك المسافوز الواسعة المهلكة ، التي اجتازها لأداه فريضة الحج ، واستمع إليه إذ يقول

« كان خروجي من طنجة مسقط رأسي، في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعائة، معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة أقبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، منفردا عن رفيق آنس بصحبته، وركب ككون في جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة آمن في تلك الحيازم »

فخيل هذا الشاب الذي لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، كيف يخاطر بحياته الغالية وتملكه عاطفة الدين الشريفة لأداء فريضة الحج في رحلة بعيدة الشقة، لم يتزود لها إلا بأيمانه الصحيح، ثم يقضى خمسة وعشرين عاما يحول في القفار والأمصار وهو أينما ذهب يقابل بالترحاب ويشع بالآلال والأعجاب مما يدل على سمو شخصيته وعلو همته. وإلى القراء ملخص وتعليق على رحلات هذا السائح الظريف، وما شاهد وعان من عجائب الأسفار وغرائب الأمصار من طنجه إلى الاسكندرية

خرج ابن بطوطة من طنجة في أيام الأمير سعيد بن أمير المؤمنين أبي يوسف ابن عبد الحق. وترى في سياق الرحلة كثيرا من أسماء هؤلاء الحكام من عمال الموحدين. وقد لصق ابن بطوطة بهم الألقاب الضخمة الفخمة من ناصر الدين إلى حامى حمى الإسلام وإلى غير ذلك مما لا حصر له، مما سنضرب عنه صفحا ولكننا أمام هذه الألقاب الدينية الكبيرة نشير هنا إلى ما كان لسلطة الحكام والولاة المحلية من أثر ظاهر في بيئتهم، لأن نظام الحكومة في هذه البلاد الإسلامية كان على نمط الحكم العربى الذى تتمثل فيه السلطان الدينية والزمنية إذ لم تكن هناك حكومات بمعناها الحاضر ملكية وجمهورية واستبدادية وما يتبع ذلك من نظم وتقاسيم إدارية الخ

... ووصل إلى تلمسان فالجزائر حيث يقص عليك أول ظلم رآه من عمال الموحدين وهو اغتصابه مالا، كان أوصى به أحد التجار الذين ماتوا معه في الطريق لرجل من القافلة بوصله لأهله، ولعل حادثة ابن بطوطة وقتئذ وطهارة

قلبه هي التي جعلته يستعظم هذا الجرم الذي كان ولا يزال من شيم النفوس في كل مكان وزمان

وقد أصيب ابن بطوطة في الطريق بحمى ، فأشار عليه رفاقه أن يمكث في بلدة (بجاية) حتى يبرأ ، ولكنه أبى مستعذبا أن يموت في سبيل طاعة الله لأداء فريضة الحج ، وظل مسافرا حتى وصل الى قسنطينة فتلقاهم حاكم المدينة بالبشر وطلب إليه أن يخلع ملابسه لتغسل لأنها كانت قد اتسخت وكان بعضها خلقا فردت إليه ملابسه نظيفة ومعها أخرى جديدة ، وصر له في أحد أطرافها دينار من الذهب ، فنقبل هذا الفضل مغتبطا وهو يعتقد أن هذا من نعم الله عليه ، وسار إلى مدينة بونه وأقام بها أياما ، وبعد ذلك انقطع أكثر من كان معه خوفا من الطريق ، إلا أنه تجرد للسفر مع فئة قليلة وأجهد نفسه في المسير حتى أصابته حمى شديدة الوطأه هزل بسببها إلى درجة أنه كان يشد نفسه بعمامته فوق السرج لثلايق ، حتى وصل إلى تونس ، وهناك أقبل بعض الناس على من كانوا معه بالسؤال والسلام والأيناس ، وهو لا يسلم عليه أحد لأنهم لا يعرفونه ، فذرفت عيناه وحشة وألما ، وفي هذا دليل على إنسانيته ورقة قلبه

ولم يصف لنا ابن بطوطة هذه المدينة العظيمة إلا بوجود علماء أجلاء يجتمع بعضهم بالأهالي عقب صلاة الجمعة بجامع الزيتونة العظيم للوعظ والأرشاد والافتاء ، ولما كان العيد قد أظله هناك فهو يحدثك عن صورة تاريخية بديعة تلك هي احتفاء الحكام بالأعياد وخروجهم راكبين مطاياهم وحو لهم الأهل وخواص المملكة ، مشاة على أقدامهم في ترتيب عجيب ، فأين هذا المظهر الآن ؟ لقد قضت سنة التطور أن تندثر هذه الصور البديعة الرائعة وتحل محلها تقاليد أخرى هي الاحتفاء بالأعياد على صورة أخرى من اللهو والمرح أو نسيانها لأن أعباء الحياة وتكاليفها جعلت كثيرا من الناس لا يقيمون للأعياد وزنا خرج بعد ذلك من تونس في زكب ذاهب إلى الحجاز وكان قد تعين قاضيا ، ويدل هذا على ثقافة ابن بطوطة ، وسار الركب حتى بلدة سوسة ثم صفاقس

حيث عقد فيها على بنت أحد التونسيين ، ولم يشر إلى بلدة صفاقس هذه بكلمة من عنده ، بل تركنايين قولين متناقضين لشاعرين أحدهما يمدح صفاقس قائلاً :

سقى لأرض صفاقس ذات المصانع والمصلى
محى القصير إلى الخليج فقصرها السامى المعلى
بلد يكاد يقول حين تزوره أهلاً وسهلاً
وكانه والبحر يحسر تارة عنه ويمسلاً
صب يريد زيارة فأذا رأى الرقباء ولى

بيننا الآخر يذم قائلاً :

صفاقس لاصفا عيش لساكنها ولاسقى أرضها غيث إذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها عادى بها العاديين : الروم والعربا
كم ضل فى البر مسلوبا بضاعته وبات فى البحر يشكو الأسر والعطبا
وقول الشاعرين يعبر عن نفسية كل إنسان وعمما يلاقه من خير أو شر
فى أى مكان ينزح إليه وما يصادفه فيه من نجاح أو فشل وتوفيق أو سوء حظ
ولهذا قيل :

وكل مكان ينبت العزطيب

ثم وصل إلى قابس ومنها إلى طرابلس حيث وقعت مشاجرة بينه وبين
صهره ، ففارق ابنته من أجله . وهذا من ظلم الدهر أن تؤخذ الزوجة بجريرة الأقارب
ومع مضي القرون الكثيرة لازلنا نرى ونسمع هذه المشاكل التى لم يفد
أى علاج فى تلطيف حرماتها مع كثرة ما كتب وما اقترح لتهديب الأخلاق
وثقيف العقول

ثم تزوج بعد ذلك بنتا لبعض طلبة العلم . هكذا قرأت فلا تدهش لأن
عهدنا بطلاب الأزهر ليس بعيد ، حيث كان بعضهم يناهز الأربعين أو الخمسين
لاصفا بالأزهر فى حياة خشنة عمرة ، ولا يخرج الواحد منه ليبنى ثمار ما حصل
من علم إلا عند ما يقارب الشيخوخة . ثم وصل بعد ذلك إلى الإسكندرية (يتبع)

في الأدب الغربي

الزوجة

للكاتب الأمريكي واشنطن أرفنج

تعريب

الأستاذ حسن شريف الرشيدى

المدرس بمدرسة الظاهر الأميرية

كنت دوماً ألاحظ شجاعة النساء التى يقابلن بها تقلبات الدهر وضربات
ويظهر أن تلك المصائب التى تثبط عزيمة الرجل ، وتجعله فى حالة يأس شديد
تبعث فى هذه النفوس الحساسة كثيراً من الشجاعة والنبيل . ولا شئ يؤثر على
الإنسان أكثر من أن يرى هذه المرأة - التى كانت فيما مضى مثال الضعف
والإتكال على زوجها - التى كانت تتأثر بأقل خشونة زمن تلالىء نجم زوجها
فى الحياة - نراها قد سمت قواها العقلية فأصبحت هى المعين له عند أفول نجمه
متحملة بثبات يدعو إلى الإعجاب أقصى ضربات القدر .

وكما تحمل ساق الكرم أوراقها الخضراء ، وتعلو حتى تصل بها إلى نور
الشمس ، فإذا ما هبت العاصفة وأرادت أن تعصف بتلك الساق ، ترى تلك الأوراق
تحنو عليها أو تلتف حولها تمنع عن فروعها تأثير العاصفة . كذلك اختارت العناية
الآلهية المرأة التى هى أنشودة الرجل فى ساعات مرجه لتكون عزاءه ومساعدته
فى الشدائد المياغطة . فترفع رأسه المنكسة وتجبر قلبه الكسير

ولقد كنت مرة أهنى صديقاً لى كان محوطاً بعائلة سعيدة تربطها بعضها

بعض أواصر الحب والاخلاص ، قال لى مرة وهو يشتعل حماساً : «أنا لا أرجو لك إلا أن تحصل على مثل سعادتي تلك ، فيكون لك زوجة وأطفال . فأذا كنت موفقاً ، يساهمونك نصيبهم . وإذا اصطدمت والقدر ، كانوا لك خير سلوى وعزاء» . وفي الحق أنى لاحظت الرجل المتزوج يكون أكثر استعداداً لاستعادة مكانته فى الحياة من الرجل الأعزب . وذلك لأن الأول مدفع إلى الجهاد بحاجيات هؤلاء المخلوقات المحبوبة التى تحيط به وتعتمد عليه كربّ لهم . وثمة ما هو أكثر من ذلك أهمية ، وهو شعور النفس بالطمأنينة والحب العائلى . فبينما لا يجد خارج المنزل إلا اليأس والهوان فإنه لا يزال له فى داخله مملكة صغيرة قوامها الحب والولاء ، وهو ملكها . ذلك بينما الأعزب عرضة لأن يركن إلى الكسل وإهمال نفسه ، فيظن نفسه وحيداً مهجوراً ، فيهبط قلبه إلى قرارة اليأس مثله كمثل القصر المهجور يزداد تداعياً وخراباً بابتعاد أهله وساكنيه عنه .

تعيد إلى ذهنى تلك الذكريات قصة عائلة شاهدت وقائعها بنفسى . فقد كان لى صديق عزيز يدعى (ليزلى) وقد تزوج بأنسة مهندبة جميلة . أتمت تربيتها وحياتها الأولى فى وسط مذهب راق . وإنه وإن لم تكن تمتلك ثروة ، فإن ثروة صديقى كانت تكفل لها حياة طيبة . وكان لا يرضن عليها مطلقاً بما يزيد لها متعة وسعادة و يؤدى لها كل كآلياتها التى تنشر جواً من السحر والجمال ، حول هذا الجنس اللطيف . قال مرة : « سأجعل حياتها كقصة خياليه » .

وقد جعل بينهما اختلافهما فى الصفات ارتباطاً موفقاً ، فكان هو شعري العاطفة ، ذا خلق هادى ثابت بينما كانت هى مثال المرح والخبور . فقد لاحظت عليه دائماً ذلك السرور الهادى الذى كان يلحظها به عند ما تكون معه فى المجتمع حيث تنشر فيه جواً من البهجة والحياة . وفى وسط الإعجاب بها من كل ناحية لا تقع عينها إلا عليه كأنها تطلب إليه وحده القبول والاستحسان . وعند ما تعتمد على ذراعه ، تجسد التباين واضحاً وجميلاً بين قوامها الرشيق وبين شخصه الطويل القوى . ويظهر أن نظرة الاخلاص التى ترمقه بها كانت تبث فيه شعور

الأحاساس بالظفر والفخر . فما أجملهما زوجين يقطعان طريقا كله ورود
ممتلئين آمالا يبينان عليها سعادتهما المقبلة .

طوحت الأقدار بصديقي هذا ، وذلك لأنه عرض ثروته في مشروعات
واسعة ذات خطورة ، فلم يمحض على زواجه شهوور كثيرة حتى تابعت عليه الخسائر
المفاجئة فأصبح وكأنه لم يملك شيئا . وظل محتفظاً في نفسه بحاله السيئة مدة ما ، إلا
أن شحوب وجهه كان ينم على حقيقة حاله . وكانت حياته سلسلة آلام موجهه
وما جعلها صعبة الاحتمال حاجته إلى الابتسام دائماً أمام زوجته ، فلم يكن في
وسعه أن يحطم آمالها بأن يسرّ إليها بحالته . ولكنها رأت بعين الحب التي
تخترق الحجب سريعاً ، أنه في ألم مستتر . إذ لاحظت عليه نظراته الزائغة وتأوهات
الصامتة . ولم تكن لتدع بحاولته الفاشلة في ادعاء المرح . وقد حاولت جهدها
أن تعيد إليه هناءه المفقود ولكنها لم تكن إلا لتزيد في ألم نفسه . وكلما رأى منها
ما يزيد حبا لها كان تألم نفسه أشد ، وبخاصة عند ما يرى أنه سوف يسبب لها
التعاسة والشقاء ، فكان يفكر في أن تلك الابتسامة سوف تختفي بعد قليل من
هذا الحد المورء ، وسوف لا تسمع بعد تلك النغمات العذبة من هذه الشفاه الرقيقة
وسوف ينطق من الحزن ذلك النور المشرق الذي ينبعث من تلك العينين
النجلاوين ، وسوف يتحطم ذلك القلب الذي كان يخفق بالسعادة ، بضئك
الحياة المقبلة وشقائقها .

وأخيرا جاء إلى يوم ما ، وقص على مابه - في رنة حزن وأسى - حتى إذا
ما انتهى من قصته سأله : « هل تعرف زوجك كل هذا » فأجاب وقد طفق يبكي
وينتحب : « بحق الله إن كانت لديك بقية من الشفقة على فلان تذكر زوجي فان
مجرد تفكيرى فيها يسوقى للجنون » . فأجبت : « ولماذا لا تخبرها ؟ إنها لاشك
سوف تعلم ذلك عاجلا أو آجلا . وربما بلغ إليها الخبر في حالة مفرعة أكثر مما
لوبلغتها إياه بنفسك ، بمن نبرات من نحب تخفف دائما من وطأة أشد الأخبار
وقعا . أضف إلى ذلك أنك حرمت نفسك من مواساتها لك وحنانها عليك .

وليس ذلك خُصب . بل إنك عرضت للانحلال تلك الرابطة الوحيدة التي تربط قلبيكما ببعضهما ببعض ، وهي المشاركة في الشعور والتفكير . وستري هي عاجلاً أن شيئاً ألم بك يقض عليك مضجعتك . والحب الصحيح لا يحتمل التحفظ والكتان بل يشعر بضعف قيمته عند ما تخفى عنه أحزان محبوبه .

فقال : « آه يا صديقي ! ما أصعب التفكير في الطعنة التي سأصيبها به فتحطم آمالي المستقبل . كيف تنهد نفسها الشاحخة ساعة أن تعلم أن زوجها لا يملك قوت يومه ؟ وأنها سوف تحرم كل مباهج الحياة ومسررات المجتمع ، وتنزوى معي في ظلمة الفقر والحاجة ؟ وأنى سوف أنزعها من عالم البهجة الدائم الذي كانت تخطر فيه . تور كل عين . وأعجاب كل قلب ؟ فكيف تتحمل مثل هذه الفقر وقد شبت محاطة بكل أنواع الترف والثروة ؟ وكيف تتحمل هجر المجتمع وقد كانت معشوقته ؟ إن ذلك ليحطم منها القلب ويهد منها القواد »

رأيت كآبته عميقة وتركتها تنفجر لأن الحزن يخفف من لوعته بالكلمات الصادرة من القلب . وعند ما سكنت عاصفة حزنه ، وتحولت إلى صمت محزن عميق ، أعدت عليه الكرة تدريجاً ، وأقنعت به أن يبلغ حالاً زوجه عما أصابه من محنة . فhez رأسه باكتئاب مصمماً على السكون .

فسألته : « ولكن كيف يمكنك أن تستمر في إخفاء ذلك عنها ؟ فمن الضروري أن تعرفه حتى تعد العدة لتبدل حالك ، إذ ينبغي أن تغير طريقة المعيشة ... » عند ذلك لاحظت عليه سحابة ألم ففاجأته قائلاً : « لا تجعل لذلك في نفسك من هم . فأنى لوائق من أنك لم تطلب سعادتك من طريق المظاهر المادية ، فإنه لا يزال لك أصدقاء أوفياء سوف لا يتركون محبتك لأنك لا تسكن سكناً فخماً . كما أنى واثق أيضاً أن سعادتك مع ماري لا تتوقف على أن تسكننا قصرًا فخماً . »

فصاح متأثراً : « إنى أكون سعيداً معها ولو قضينا حياتنا في عشة . إنى يمكن أن أنزل معها إلى الفقر والحضيض . يمكنى - يمكنى - عسى أن يحوطها الله برعايته ... » واستمر في تأوهات المؤثرة .

قلت له : « وبما أنك الآن قد أجتزت أقصى مرحلة باعترافك لها بحالك فيحسن أيضا أن تبادر وتظهر حقيقة مركزك للعالم . فأنة وإن كان هذا الظهور مؤلما فإن تأثيره لا يلبث حتى يزول . وعندى أن هذا خير لك من أن تعاني في ترددك ألم الكتمان كل يوم وكل ساعة . ليس الفقر هو الذى يزعج الرجل المعوز ، ولكنه الكفاح بين النفس السامية واليد الخالية ، والاحتفاظ بالمظهر الكاذب الذى ما أسرع أن تنكشف حقيقته . فلتكن لديك الشجاعة لأن تظهر فقيرا فبدلك تجرد الفقر من أحد سلاحه . » وما وصلت إلى هذه النقطة حتى وجدت « ليزلى ، متأها لقبول نصيحتى . أما زوجه فكانت فى اشتياق لتجيا الحياة الجديدة التى تتفق وحالهما الجديدة .

مضت أيام عدة على ذلك ثم زارنى مساء . وكان قد باع مسكنه ثم اكرت كوخا صغيرا فى الريف يبعد أميالا قليلة عن المدينة ، وقد شغل طيلة يومه فى بيع أثاثاته الأولى الفاخرة . أما منزله الجديد فلم يكلفه إلا يسيرا ، ولذلك لم يبق على شئ من مفروشاتة الثمينة ، إلا قيثارة زوجه ، لأنها كانت ذكرى لقصة حبهما ، فكان إذا ما رآها يذكر تلك اللحظات السعيدة التى كان يصغى ، فيها إلى زوجه وهى معتمدة على هذه القيثارة توقع عليها من أنغامها العذبة . ولم يسعنى إلا الابتسام إزاء هذا المثل الأعلى للزوج المحب الخيالى .

كان عندى يارتى متأها للذهاب إلى الكوخ حيث زوجه منهمكة فى تربيته وتنظيمه . فدفعنى سرورى بنجاح هذه القصة العائلية لأن أرافقه ، خصوصا وأنه كان مساء جميلا . أما هو فقد كان تعباً من مجهود يومه فى البيع ، حتى إذا سرنا فى الخارج انهمك فى تفكير محزن

أخيرا خرجت من فة آهة طويلة ، أعقبها بقوله « مسكنة مارى »

فسألته : « ماذا بها . هل أصابها شئ . ما ؟ »

فأجاب وقد نفذ صبره « وماذا تريد أكثر من أن تنحدر إلى هذا الحضيض وتزوى فى هذا الكوخ الحثير تشتغل فيه يديها أحقر الأعمال المنزلية ،

قلت له : « وبما أنك الآن قد أجتزت أقصى مرحلة باعترافك لها بحالك فيحسن أيضا أن تبادل وتظهر حقيقة مركزك للعالم . فأنه وإن كان هذا الظهور مؤلما فإن تأثيره لا يلبث حتى يزول . وعندى أن هذا خير لك من أن تعاني في ترددك ألم الكتمان كل يوم وكل ساعة . ليس الفقر هو الذى يزعج الرجل المعوز ، ولكنه الكفاح بين النفس السامية واليد الخالية ، والاحتفاظ بالمظهر الكاذب الذى ما أسرع أن تنكشف حقيقته . فلتكن لديك الشجاعة لأن تظهر فقيرا فبذلك تجرد الفقر من أحدّ سلاحه . » وما وصلت إلى هذه النقطة حتى وجدت « ليزلى » متأها لقبول نصيحتى . أما زوجه فكانت فى اشتياق لتحيا الحياة الجديدة التى تتفق وحالهما الجديدة .

مضت أيام عدة على ذلك ثم زارنى مساء . وكان قد باع مسكنه ثم اكترى كوخا صغيرا فى الريف يبعد أميالا قليلة عن المدينة ، وقد شغل طيلة يومه فى بيع أثاثاته الأولى الفاخرة . أما منزله الجديد فلم يكلفه إلا يسيرا ، ولذلك لم يبق على شئ من مفروشات الثمن ، إلا قيثارة زوجه ، لأنها كانت ذكرى لقصة حبهما ، فكان إذا مارأها يذكر تلك اللحظات السعيدة التى كان يصغى ، فيها إلى زوجه وهى معتمدة على هذه القيثارة توقع عليها من أنغامها العذبة . ولم يسعنى إلا الابتسام إزاء هذا المثل الأعلى للزوج المحب الخيالى .

كان عند زيارتى متأها للذهاب إلى الكوخ حيث زوجه منهمكة فى ترتيبه وتنظيمه . فدفعنى سرورى بنجاح هذه القصة العائلية لأن أرافقه ، خصوصا وأنه كان مساء جميلا . أما هو فقد كان تعباً من مجهود يومه فى البيع ، حتى إذا سرنا فى الخارج انهمك فى تفكير محزن

أخيرا خرجت من فيه آهة طويلة ، أعقبها بقوله « مسكينة مارى » فسألته : « ماذا بها . هل أصابها شئ » ما ؟

فأجاب وقد نفذ صبره « وماذا تريد أكثر من أن تنحدر إلى هذا الحضيض وتنزوى فى هذا الكوخ الحثير تشتغل فيه يديها أحقر الأعمال المنزلية »

فأجبت « ولكن هل سئمت هي ، وضجرت من هذا التبدل »
قال « ضجرت ! على العكس تماما . فقد ازدادت مرحا وسرورا . ولا أذكر
أنى رأيتها أحسن مما هي الآن . وقد صارت لى هي كل الحب والحنو والأيناس »
فأجبت - وقد أعجبت حقا بهذه الفتاة : « يا صديقى ! أنت تدعو نفسك
فقيرا ؟ إنك لم تكن أكثر غنى من الآن . ولم تكن تدرى أى كنز ثمين من
الأخلاق تدخره فى هذه المرأة . »

قال : « ولكن إذا مامرت هذه المقابلة الأولى فى الكوخ أظن أنى سأكون
بعدها مرتاحا . وإنما هذا هو اليوم الأول للتجربة الحقيقية فقد اشتغلت طول
يومها فى ترتيب محتوياته الوضيعة . ولأول مرة تدرك بنفسها متاعب أعمال
الخدم . ولأول مرة تنظر حولها فلا ترى إلا منزلا مجردا من كل شىء بهيج ، بل
وكل شىء مريح . وربما وجدناها الآن جالسة منهوكة القوى وحزينة تصور
لنفسها المستقبل المظلم . »

وقد كان فى تخوفه هذا بعض الاحتمال مما جعلنى لا أجرؤ على معارضته
فسرنا فى صمت تام .

وبعد أن عرجنا من الطريق العام إلى منحدر ضيق تظللته أشجار الغاب
الكثيرة وتزيد فى وحشته - وصلنا إلى الكوخ . وكان مظهره الخارجى وضعيا
حقا ، ولكنه مع ذلك ظهر بشكل رقيق جميل . تحيط به أشجار باسقة تكاد
تخجبه عن الأنظار . وتتسلق على جدرانه شجرة كرم كثيرة الفروع والأوراق
وقد استلقت نظرى خارج المنزل عدة أوان من الأزهار منظمة بشكل يدل على
ذوق جميل عند المدخل . وكذلك عدة أوان أخرى على قطعة أرض خضراء أمام
المنزل ، ويوصل بين الباب الخشبي الخارجى وباب المنزل ممشى يلتوى بين بعض
الحشائش النامية . وعند اقترابنا سمعنا فجأة صوت موسيقى فأمسك « ليزلى » بذراعى
فوقفنا وأصغينا - إنه كان صوت مارى تغنى بنغم عذب مؤثر إذ كانت تنشد
أغنية يحبها زوجها كثيرا

شعرت بيد ليزلى ترتعش على ذراعى . وتقدم خطوة لسمع بوضوح أكثر ، وسبب وقع خطواته صوتا على الحصى فى الممشى ، فأطل وجه جميل مشرق من النافذة ثم اختفى وسمعنا وقع أقدام خفيفة جاءت بعدها مارى تقفز لتقابلنا . وكانت فى ثياب بسيطة بيضاء وقد شبكت بعض الزهور فى شعرها المنسدل . وصبغ خدها الجميل باللون الوردى ، وكانت كل ملاحظتها تضيء بالابتسامات حتى أنى لم أرها أكثر جاذبية منها فى هذه اللحظة .

صاحت « عزيزى جورج . كم أنا مسرورة بقدمك ! فكم طال انتظارى لك ، وكثيرا ما خرجت من المنزل إلى الطريق متشوقة لرؤياك . وقد أعددت مائدة تحت شجرة جميلة خلف الكوخ وجمعت لك كثيرا من الكريز الذى تحبه . وأحضرت لك قشدة شهية . وكل ما يحيط بنا يا عزيزى هادئ وجميل) قالت ذلك وهى لا تزال ممسكة بذراعه ثم نظرت إليه ببشاشة وقالت (سنكون سعيدين جدا يا عزيزى »

تأثر ايزلى المسكين من كل ذلك ، فضمها إلى صدره وطوقها بذراعيه وطبع على فمها قبلاات حارة . ولم يتمكن من الكلام وقد انحدرت الدموع من عينيه . وقد أكد لى حينئذ بأن هذه اللحظة أسعد لديه من أيام نجاحه ومسراته السالفة حسن شريف الرشيدى

انتظروا

الروايات القصصية

مجموعة قصص أدبية ، تحتوى على ١٢ قصة ، مكتوبة بأسلوب راق ، موضوعات على نمط المحاورات ، بقلم الكاتب المتفنن الأستاذ احمد مختار الحنبلى

نظرية المعرفة

وعلاقتها بالفلسفة والتصوف

بقلم محرر المجلة

تمهيد

قلنا للقراء عند تقدمتنا لموضوع الأستاذ فريد بك وجدى إنهم سيجدون مقالاً لنا عن الموضوع نفسه فى هذا الجزء ذاته . وبما أن المواضيع التى تفضل بها حضرات الكتاب لم نترك لنا مجالاً فسيحاً للكتابة . فقد رأينا أن نكتفى بنشر مقدمة وجيزة للبحث ، واعدن بآتمامه فى المستقبل إن شاء الله

يهمنى فى بدء البحث عن هذا الموضوع ، أن أبين المعانى المقصودة لتلك الكلمات ، التى اخترتها عنواناً للبحث . فالمعروف أن بعض الناس يخلطون بين تلك الكلمات بعضها ببعض ، أو يحسبون أن المعرفة العامة أو الفلسفة ، ندان للتصوف ، أو أن التصوف أقل من الفلسفة إن لم يكن أقل من الفلسفة والمعرفة معاً وكذلك اختلف الناس قديماً ، ومازالون مختلفين حديثاً فى نفس المعرفة ، وعلاقتها بالكون أولاً ، والكائن ثانياً . فمنهم من يقول بأنها لا تكون إلا نتيجة الإدراك بالحواس ، وهؤلاء هم الحاسيون ، أو التجريبيون الذين تقوم نظريتهم على بحث العلوم التجريبية بواسطة الإدراكات الحسية . ومنهم من يقرر بأنها لا تكون إلا نتيجة ما يدرك بالحواس إدراكاً يقينياً أو ظنياً ، مشركين فى هذا التأمل الفكرى ، وهو ما يعبر عنه بملاحظة العقل لأعمال الحواس ، وهؤلاء هم الآخذون بمذهب الواقع الذى يقوم على إشراك الحس بالتأمل . ويقرر فريق ثالث بأنها لا تكون إلا نتيجة العقل المحض فى تفكيره ، وهؤلاء هم الذين تقوم أبحاثهم على العقل والاستدلال المنطقى . وهناك فريق رابع يقول بأنها لا تقوم إلا على

التصور العالى للحقائق الكونية ، وبمعنى آخر تذكر الصورة أو المثال الذى كان عليه الكائن فى عالم الحقيقة ، وبمعنى أوضح ، تقوم المعرفة لديه على التأملات المجردة ، والتفكيرات القلبية ، والروحانيات السامية ، والأشراقات النورانية . وهؤلاء هم ما يعبر عنهم بالمثاليين فى لغة الفلسفة ، أو الصوفية فى اعتبار الدينين فأنت ترى أن الأمر عسير جد العسر ، ودقيق كل الدقة ، وفيه ما يفسح المجال لكل قول ، وأى رأى . وعلى المنصف أن يتسامح فى ظن فريق وخطأ فريق ؛ وللباحث أن يدرك سبب حيرة الناس واختلافهم ، بل سبب ارتطام العلماء بالفلاسفة ، إذا ما علم أن الموضوع الذى نحن بسبيل البحث عنه ، ليس هينا ولا عسيرا

ونحن هنا لاندعى القدرة على البت فى رأى من تلك الآراء . أوزعم الأتيان بالقول الفصل فى المسألة ، إذ العصمة والكمال لله وحده وإنما نود أن نبسط - بقدر طاقتنا - مسائل هذا البحث الخضم ، ونعرض على القراء خلاصة ما حصلناه من اطلاع فى كتبه ونبدأ الآن الكلام على لفظ المعرفة ومعناها :

المعرفة لغة

يؤدى لفظ المعرفة فى اللغة عدة معان متقاربة منها : العلم والأدراك والأقرار وغيره مما يشابه معناه معناها ، وقد وردت فى القرآن الكريم كثيرا بمعنى الأقرار . والأقرار ضد الإنكار . قال تعالى « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ، ومن ذلك قول الشاعر :

عرفنا جعفرأ وبني أبيه وأنكرنا زعاف آخرينا

ومن لفظ المعرفة ، اشتق اسم العارف . والعارف - فى عرف بعض الفلاسفة وفى لغة المتصوفة جميعا - هو الرجل المختص بمعرفة الله تعالى عن بصيرة وعلم . ومعرفة ملكوته وحسن معاملته ، عن إدراك وذوق

المعرفة اصطلاحاً

تعريف المعرفة في الاصطلاح تعريفًا جامعاً مانعاً أمر فيه خلاف ، هو في الحق خلاف ليس بالكبير أو الخطير . إذ يكاد يتفق أغلب الفلاسفة والعلماء على أن المعرفة إدراك الشيء بتفكير وتدبر لآثره ، أو إدراك الشيء بتمثله في الذهن ، وتطبيقه على الواقع . ويقول الفيلسوف الألماني (هيربرت) « إن المعرفة مجموع التصورات الحقيقية القائمة بالنفس »

والذي يلوح لنا من هذا التعريف هو أن النفس محل لضروب مختلفة من التصورات : منها ماهو حقيقي . له مصدر ذو وجود خارجي ، تطابق صورته الذهنية للواقع . ومنها ماهو غير حقيقي ، لا وجود لصورته في الواقع ، فيصبح باطلاً لا حقيقة له . أو وهما وخيالا صادرين عن تصورات زائفة . وإذن فالمعرفة الحقيقية — على هذا الاعتبار — تقتضي أن تكون تصوراً حقيقياً متلائماً الوضع ، مرتبط بالأجزاء ، مرتب المقدمات ، سليم المادة ، لاوهن ولا تخلخل في أسسه ، به تنجلي الحقائق بمقتضى قواعد مخصوصة .

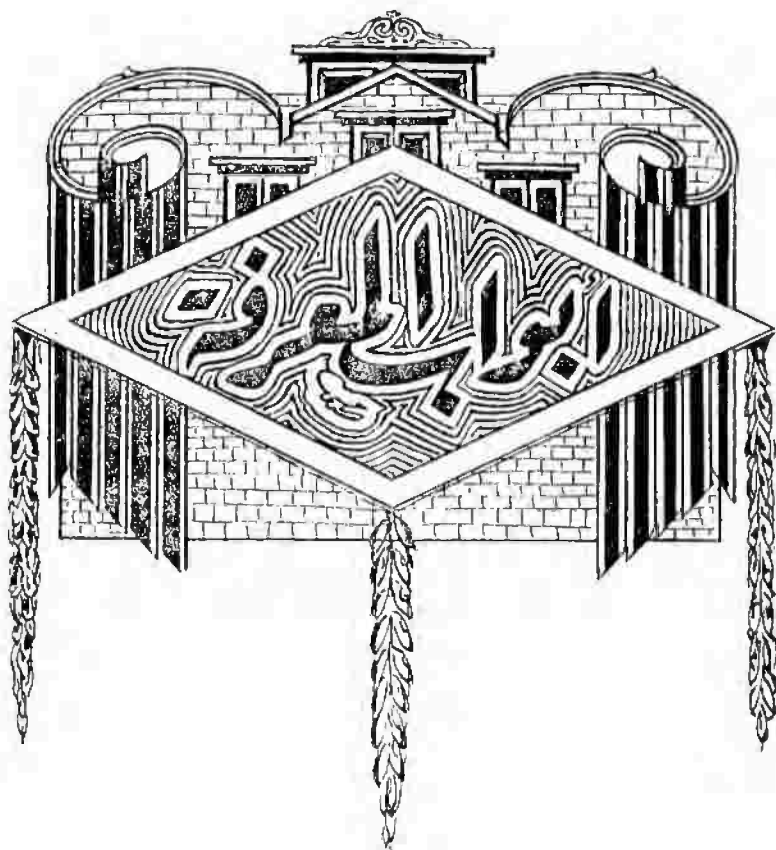
ومهما يكن من خلاف ، فأنا نرى التعريف القائل بأن المعرفة إدراك الشيء بتفكير وتدبر لآثره ، أيسر إلى الفهم ، وأقرب إلى التحقيق . وللتدليل على صحة هذا القول نقول : إن الإنسان لا يمكنه معرفة ذات الشيء مباشرة — بالمعنى التام المقصود للباشرة التامة — وإنما معرفة الشيء لا تكون إلا بأدراك أثره أولاً .

قديمو هذا القول عند بعض الناس غريباً ، ولكنه الحق على ما نعرف . فمثلاً نرى أن معرفة البشر لذات الله تعالى مستحيلة تمام الاستحالة . وإنما يعرف تعالى بتدبر آثاره في موجوداته ، والتفكير في مخلوقاته . يقول الله تعالى « قل انظروا ماذا في السموات والأرض » ويقول أيضاً « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » وفي الحديث الشريف « تفكروا في الخلق ، ولا تفكروا في الخالق فهلكوا » ويقول أبو نواس من قصيدة له :

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
 عيون من لجين شاخصات بأبصار هي الذهب السيك
 على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك
 أما الآية الأولى فتدلنا على أن النظر لا ينصب على الخالق جل وعلا ذاتا،
 وإنما ينصب على سمائه وأرضه. وتدلنا الآية الثانية على أن التبصر لا يكون
 في نفسه تعالى، وإنما في نفوس مخلوقاته. ويرشدنا الحديث إلى أن التفكير لا يصح
 في الخالق، ولكنه يجب في الخلق. وكذلك عنى الشاعر تأمل نبات الأرض،
 وآثار المليك، لا المليك ذاته.
 وليس من شك مطلقا في أن السموات والأرض، وأنفسنا، أو خلق الله
 جميعا ماهي، إلا صور، أو مظاهر، أو آثار للخالق جل وعلا، وليست ذاته.
 تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
 على أنا سنأتي بعدة أمثلة لتوضيح المسألة عند الكلام على أنواع المعرفة.
 وأقسامها. وإلا لو أخذنا في سردها هنا، لاختلط الأمر على بعض القراء،
 وهذا ما نحشاء، ونحاول تذليله.
 وإذن فلنتنقل بالقارىء إلى الكلام عن تدرج نظرية المعرفة، وعن منشأها
 ودواعي الخلاف فيها قديماً وحديثاً، وموعداً بهذا الجزء المقبل.

مطبعة الجمل بمصر

مستعدة لطبع جميع ما يطلب منها من الكتب والمجلات
 على اختلاف أنواعها مع العناية وحفظ المواعيد



بَابُ النِّقَدِ وَالنَّقْرِيطِ

وردتنا ، عدة كتب لنقدها وتحليلها ، وبما أن المجال قد ضاق عن نشر رأينا عنها ، فقد أرجأنا ذلك إلى الجزء المقبل ٩.

الْعُلُومُ وَالْفُنُونُ

الشبان والتعليم العالي

يقول أحد أساتذة جامعة براون في أمريكا : إن إقبال الناس على تعليم أولادهم بالجامعات ليس مما يمدح على الدوام ، وذلك لأن نصفهم أو ثلثهم لا يليق للتعليم العالي بالجامعات ، إذ أن كثيرين منهم ، يفشلون ويخرجون في منتصف الطريق ، وهم يعتقدون أنهم دون سائر الشبان ، فيؤثرفهم هذا الاعتقاد مدى حياتهم . ثم إن أولئك الذين يحصلون على درجات الجامعة ليس لديهم من الكفايات الأصلية ما يحملهم على الدرس مدى حياتهم .

ويقول الأستاذ مكدونالد ، بأن معظم خريجي كليات الطب لا يستوعبون المعارف الطبية ، كما يقول غيره ، بأن كثيرا من الشبان والشواب ، يؤثر في صحتهم المجهود اللازم للدرس في الجامعات فهم لا يجوزون الامتحانات إلا بعد فقدان صحتهم ، وخلاصة القول هو أن يقصر على ذوى الكفايات الكبيرة ولا يفتقر الآباء بأبنائهم ، فيرسلوهم للجامعات ، وإن لم يكونوا أهلا لها .

مملكة المرأة والبيت

هل تخطب الفتاة فتاها؟

إن العادة المتبعة ، بل والتقاليد الموروثة ، جرت في كل بلاد العالم ، على أن الشاب يخطب الفتاة التي يريد لها زوجا له . لا أن تخطب الفتاة فتاها الذي ترتضيه لها بعلا . ولكن انجلترا هي الدولة الوحيدة التي تجيز في كل أربع سنين مرة ، أى في كل سنة كيسة ، عدد أيامها ٣٦٦ يوما ، للشابات خطبة الشبان لأنفسهن أى أن لكل فتاة الحق في خطبة من تشاء من الفتيان ، ويعتمد الإنكليز في هذا على أسطورة بعيدة الصحة . وهي أن القديس بتريك . أجاز للمرأة ذلك إنصافاً لها ، وإقراراً منه بمساواتها للرجل ، فيما له من الحقوق .

وأغرب من هذا ما جاء في تاريخ (اسكتلندا) ، فقد قيل : إن برلمانها سن قانونا في سنة ١٢٢٨ م ، نص فيه على أنه يجوز لكل فتاة أن تخطب أى فتى أرادته للتزوج منها . وأن تسأله يده تصريحاً أو تليحاً ، وبعبارة أخرى ، تطلبه بالكلام وهو لغة اللسان ، أو بالنظرات وهي لغة العيون . وليس للشباب الذي تناله رشقة من لحظ إحدى الظلمات ، أن يتخلف عن الطاعة ، فيهرب مما تطلبه إليه الفتاة - وهو الخطبة واتخاذها زوجا له - مالم يثبت أنه خاطب أو مخطوب أو متزوج . وإلا فرضت عليه ضريبة الخروج على القانون وهي الغرامة .

فوائد متنوعة

منع سقوط الشعر

أفضل الطرق لتقوية الشعر وأسهلها استعمالا ؛ هو أن يصب الماء المغلي على ورق الشاي ويترك عليه بضع ساعات ، ثم يغسل به الرأس بعد تمشيط الشعر

(طريقة أخرى)

يغلى خشب الكينا بالماء بضع دقائق ثم يرفع ويصنى ويترك إلى أن يبرد
قبل به إسفنجه وتمسح أصول الشعر، فيمنع سقوطه، ويكسب جلد الرأس
قوة لا يبعد أن تكون سيبا في منع الشيب الباكر.

إزالة بقع الحبر

لإزالة بقع الحبر من الملابس تعمل عجينة من الكحول النقي ودقيق النشا
ثم يغطى بها المكان الملوث و تترك عليه حتى تجف تماما . ثم يزال العجينة
بفرجون (فرشه) ويعاد ذلك عدة مرات

حفظ الملابس من الحشرات

كثيرا ما يتلف العث (العته) الملابس وخصوصا القليل الاستعمال منها .
فلأبادة هذ الآفة وحفظ الملابس سليمة يضمخ مكانها بمادة ذى رائحة قوية
كالكاפור والفلفل والنفثالين أو ما مائل ذلك

حفظ الأواني المعدنية من الصدأ

لحفظ الأواني المعدنية من الصدأ تدهن بالجير المذاب و تترك حتى ساعة
الحاجة إليها ثم تغسل بالماء . وبذلك تسترد لونها الأصلي

الرسائل

اعتزم صديقنا الأستاذ الفاضل محمد أحمد عمارة المحرر بجريدة الضياء أن
يصدر مجموعة من الرسائل تبحث في فنون الأدب والتاريخ والاجتماع
والقصص وسيتبارى في حلبيتها فريق من حملة لواء الأدب وأعلام البيان في الشرق
وهو يرحب بنشر كل ما يصل إليه في هذا الموضوع مع الصورة الفتوغرافية
بعنوانه المتقدم

غروب الشمس

في

